البارزاني لن يسلم نفسه

تيلي أمين

كلمة في البداية:

الحديث عن مآثر البارزاني النضالية يفيض عناوين ويتشعب بالمواضيع. والإحاطة بشيء من سجاياه الفاضلة وخصاله النبيلة وتراثه المتألق وهجاً وأصالة في كلمة كهذه، أو كتاب كهذا، مهمة ليست عسيرة فحسب إنما محاولة عقيمة. قطعاً، إنها ليست مهمة باحث أو كاتب، وقد تجهد هيئات خبيرة ومتخصصة في البحث الأكاديمي ولزمن غير قصير قبل أن تستكشف بعض الحقائق الجادة في المسيرة الجهادية للبارزاني الخالد عبر أمد زاد عن نصف قرن قضاه وهو يصنع خلاله أحداث التأريخ ويملي عليه الوقائع ويختار من بينها لنفسه ولشعبه كماً متراكماً من الأمجاد.

لقد مرت الأمة الكوردية من منعطفات خطيرة وهي تتكئ على حكمة البارزاني وصبره وجلده، ودخلت في منحدرات شديدة وهي تتأبط ذراعه القوي، وولجت في أنفاق معتمة وهي تسترشد بوهج مبادئه، وواجهت أشباح الرعب وجحافل الذعر وهي تستنجد بسحر اسمه. فكان أن عبرت المنعطفات والمنحدرات، وخرجت من الأنفاق وخلدت إلى الطمأنينة. وقد واجهت هذه الأمة الظلم والقهر والتدمير لكنها أخلصت النية في الوفاء لنهج البارزاني واستمدت منه القوة والعزيمة فتخلصت وتحررت.

لقد أرادوا الفتك بأمة الكورد بطشاً، فخلدها صلابة مواقف زعيمها البارزاني، وتمنوا أن تنتحر غروراً فأنقذها تواضع ابنها البارزاني. في عصر اشتدت فيه التناقضات من جراء اختلاف الأيديولوجيات والبحث عن التحالفات وآبار البترول، وواجه العالم من جرائها تهديداً بالحرب النووية، لم يكن الوقت يسع أو المصلحة تقتضي الانتباه لما كان يجري في هذه الزاوية من الأرض_ كوردستان _ من قهر وظلم بالفناء لشعب لا يشكل عنصراً في معادلات التوازن الدولي.

في مثل هذا العصر، صارع البارزاني الشر كله وقاوم العدوان أجمعه.وأبى إلا أن يسترد هوية الكورد المفقودة وماهيتهم المهددة. فابلغ العالم صوت شعبه ومزق إطار الصمت حول قضيته.

دخل البارزاني في صراع غير متكافئ مع القوة العدوانية التي اصطفت لمواجهته ودلل بمواصلة الكفاح الشاق معها، على حيوية الشعب الكوردي وعنفوان نضاله الوطني والقومي -كما برهن على مشروعية نضاله. لاشك إن ما تحقق اليوم للكورد من مكاسب وإنجازات، وما يعيشونه من أجواء حرة في ظل كيان يرمز إلى هويتهم القومية، هو بعض ثمار عناء البارزاني، ودماء الشهداء من رجاله الأوفياء الذين كانوا يمضون وراءه، يحطمون الحدود في البحث عن مستقبل الكورد.

لقد تعرف العالم على الكورد، وقضيتهم من خلال التعرف على البارزاني ونضاله المتقد، ومنهجه في عدم المساومة.

E-Pirtûk www.kurdme.com
www.all-kurd.com
www.kurdefrin.com

وتعرف العالم على وطن الكورد _كوردستان _من خلال أنباء وانتصارات ثورة البارزاني، وزئير رجاله الهادر حتى اصبح البارزاني رمزا لشموخ الشعب الكوردي وعنوان هويته القومية. ما أجادت به قريحة الشاعر المهابادي الخصبة خير مثال على هذه الحقيقة:

يقول الشاعر الكوردي الكبير_ هه زار موكرياني _

مـــــــــــا كـــــــــــان مـــــــــــن يعـــــــــــرف الكـــــــــــورد
قبـــــــــــل ثـــــــــــورة البـــــــــــارزاني
عـــــــــــرف الكـــــــــــورد لكـــــــــــل الـــــــــــدنيا
ومـــــــــــالهم فيهـــــــــــا مـــــــــــن الأمـــــــــــاني
أينمـــــــــــا كنـــــــــــت، فـــــــــــي أصـــــــــــقاع الأرض
فـــــــــــي لـــــــــــب الـــــــــــيم أو علـــــــــــى البـــــــــــر والأوطـــــــــــان
لمـــــــــــن تقـــــــــــول أنـــــــــــا كوردســـــــــــتاني
يجيبك، بل قل أنا بارزاني .

مجداً يا شاعر جمهورية الكورد وبلاط فقرائها، والله ما نطقت إلا الحق.

فالبارزاني هو الكورد كلهم، وكل الكورد هم البارزاني.

ومن افتقد منهم هذه الهوية اغترب عنهم.

عزيزي القارئ:

في الكتاب الذي بين يديك إشارات موجزة لصفحة من صفحات المجد الكبير الذي يخلد البارزاني العظيم.

كان الله في عوننا جميعاً

تيلي أمين

آذار 1998

مقدمة الطبعة الكوردية:

بقلم شوكت شيخ يزدين

يعد عبور البارزاني الخالد والقوة البارزانية المحاربة وبمعيتها عدد من المثقفين والمناضلين الكورد من كوردستان العراق إلى كوردستان المحررة في الجانب الإيراني ومساهمتهم في إقامة وترسيخ جمهورية كوردستان الديمقراطية، **إحدى الوقائع السياسية المهمة والبارزة التي تثير الاهتمام في الحركة الكوردية خلال القرن الحالي.**

هذا الحدث التاريخي وما تبعه من أحداث مهمة أخرى مثل: دفاع البارزانيين عن جمهورية كوردستان، ومن ثم الدفاع عن أنفسهم في مقابل شرور قوات الجيش الإيراني عند انسحابهم مع عوائلهم عبر المناطق الجبلية الوعرة على حافة الحدود المغطاة بالثلوج، والتضحيات التي قدمت أثناءها، وكذلك ارتحال البارزاني الخالد ورفاقه في مسيرتهم التاريخية نحو الاتحاد السوفييتي واستقرارهم هناك لمدة اثني عشر عاماً، أصبحت جميع هذه الأحداث مثار إعجاب ودراسة وتحليل الباحثين والكتاب الأجانب قبل الكورد أنفسهم.

تعتبر مساندة البارزاني والقوة المناصرة له لكيان الجمهورية عاملاً أساسيا في توليد الثقة لدى قادة الجمهورية وزعماء الحزب الديمقراطي الكوردستاني ومجمل الشعب الكوردي في انتظار أفق مستقبلي مشرق ينير الوطن الكوردستاني.

لقد ظهر من دراسة المعارك التي خاضها البارزانيون والبطولات التي عبروا عنها في مواجهة الأعداء وبعد سقوط الجمهورية، مدى استعداد هؤلاء الرجال الأبطال للتضحية والفداء على طريق أهداف الكورد.

يعتقد العديد من الباحثين والمحللين السياسيين والعسكريين، انه كان من الممكن، بوجود هذه القوة المخلصة والمقتدرة، أن يضطر العدو إلى تلبية وإقرار بعض الحقوق الكوردية، وان لا تنتهي حياة الجمهورية بالصورة التي انتهت بها، لولا السرعة التي استسلم بها قادة الجمهورية.

يجب أن نشير، أن تواجد القوة البارزانية في المناطق المحيطة بمدينة مهاباد كان يعد مصدر خطر شديد للجيش الإيراني، وكانت هناك شائعات تروج على الدوام حول استعدادات البارزانيين لشن الهجوم على المدينة بغية تحريرها وتحرير القاضي محمد ورفاقه من السجن.

وقد أدت أخبار تواجد البارزانيين واستعداداتهم للهجوم إلى صد الجيش الإيراني عن المضي في تنفيذ مؤامرته ومقاصده بإقامة المذابح داخل مهاباد، بل وحتى أن الجيش عند احتلاله عاصمة كوردستان لم يجرأ على التفكير بالإقدام على ما اقدم عليه عند دخوله تبريز للانتقام من الأهالي بتلك الصورة البشعة.

وقد اعتقل الجيش الزعيم قاضي محمد وشقيقه صدر قاضي وابن عمه سيفي قاضي خلافاً للوعود التي قطعها اللواء همايوني قائد الجيش الزاحف على كوردستان، وقدمهم إلى محكمة عسكرية. وبعد أن امضوا قرابة ثلاثة اشهر ونصف في السجن،تم شنقهم في مهاباد ليلة 30آذار 1947.

من المنطقي أن نجيب هنا على السؤال الذي كان يطرح وهو:

لماذا لم يشن البارزاني الهجوم بقواته الوفية على مدينة مهاباد بتحرير القاضي ورفاقه من الاعتقال؟! للإجابة على هذا السؤال نقول:

في مؤلفه القيم (البارزاني والحركة التحررية الكوردية_ثورة بارزان 1945-1958)) يتحدث الرئيس مسعود البارزاني عن حادثة قرية (سيلوى) ويبين انه وردت معلومات مؤكدة تفيد أن بعض آغوات عشيرة المامش تسلموا السلاح من الحكومة الإيرانية وتعهدوا باحتلال مواقع إستراتيجية في سفوح جبل (سبيريز) وحتى وادي (كادر) الأمر الذي كان يهدد مصير البارزانيين تهديداً خطيراً، فتحركت قوة من البارزانيين يوم 23شباط 1947 إلى قرية سيلوى حيث كان رؤساء المامش من طائفة قرني آغا يعقدون اجتماعا هاماً، **ومع أن الأوامر كانت تقضي بالقبض عليهم فقط وجلبهم إلى اشنويه كرهائن لإحباط خطتهم**، إلا انه ونتيجة سوء فهم بين الطرفين حدثت معركة مفاجئة بينهما في داخل القرية، كانت نتيجتها مصرع (12) شخصاً من أغوات مامش واستشهاد اثنين من البارزانيين.

أدت هذه الحادثة العريضة إلى تأزم الوضع وفقدان الثقة بين الطرفين، وإلى حد أن ((وليام ايكلتن))يقول في كتابه (جمهورية الكورد عام 1946): إن حادثة سيلوى أوقعت خطة البارزانيين في التحرك لاستعادة مهاباد وتحرير القاضي ورفاقه من السجن في مأزق، بسبب أن المدينة كانت موقع نفوذ عشيرة مامش وحلفائها.

بعد فرار قادة جمهورية آذربيجان واعتقال وإعدام زعماء جمهورية كوردستان، ظلت القوة البارزانية الجعة الوحيدة التي تعد مصدر خطر على النظام الإيراني لأنه كان من الممكن أن تستقطب كل المعارضين من آذربيجان وكوردستان في حركة أخرى للبدء من جديد بمقاومة النظام.

وكان النظام الإيراني ومنذ البداية يكن حقداً كبيراً تجاه هذه القوة (الأجنبية) وذلك بسبب تجاربه المرة معها. فقد أنزل الكورد البارزانيون ضربات موجعة بالجيش الإيراني في معارك (قاراوا ومامه شا) على عهد جمهورية كوردستان. لكن مسئولي الجيش الإيراني كانوا يدركون أن مواجهة القوة البارزانية الجريئة والكفوءة ليس عملاً ميسوراً، وان تركيعها عن طريق القتال حلم لا يتحقق، خاصة وان البارزانيين، وبسبب وضعهم الخاص في كوردستان العراق وإيران كانوا يواجهون معركة الحياة أو الموت، لذلك التجأ المسؤولون في الحكومة الإيرانية إلى حبك المؤامرات بغية الإيقاع بهم عن طريق الخدع والتضليل.

لقد دعوا البارزاني الخالد لزيارة طهران والالتقاء بالشاه ورئيس الوزراء ورئيس أركان الجيش وبقية كبار مسئولي الدولة الإيرانية، بغية البحث عن حل للقضية العالقة بين البارزانيين والحكومة الإيرانية. وفي طهران وضع المسؤولون عدة اقتراحات أمام البارزاني وطلبوا منه اختيار إحداها.

أهم الاقتراحات كانت ما يلي:

أولا/ أن يلقي البارزانيون أسلحتهم ويستسلموا للحكومة الإيرانية بغية إسكانهم في منطقة خارج كوردستان.

ثانياً/ مغادرة الأراضي الإيرانية فوراً والعودة من حيث أتوا.

من الجدير بالذكر أن مباحثات البارزاني والحكومة الإيرانية هذه جرت في شهر كانون الأول وكانون الثاني من عامي 1946-1947، وكان على البارزانيين في حالة الأخذ بالمقترح الثاني الرحيل عبر منطقة جبلية وعرة ومغطاة بالثلوج وفي عز الشتاء، وبالإضافة إلى ذلك كانت الطائرات العراقية والبريطانية مهيأة لاستقبالهم حالما يعبرون نقطة الحدود ويدخلون أرض آبائهم وأجدادهم في كوردستان العراق، ذلك لان الحكومة العراقية كانت قد هيأت قواتها مسبقاً للقضاء على هذه القوة التي كانت ولم تزل النواة الثورية الحقيقة للحركة التحررية الكوردية، كما أن الحكومة التركية كانت هي الأخرى قد أعدت قواتها لضرب البارزانيين حالما يقتربون من الحدود، وعلى

اعتبار أن هؤلاء البارزانيين يشكلون خطراً على أطماعها في كوردستان، وكانت تقوم بتنسيق مجهوداتها بهذا الصدد مع حكومات العراق وإيران للقضاء على مصدر الخطر المشترك، قوة بارزان.

هكذا كان الشاه الإيراني يدرك تماماً إن الملا مصطفى البارزاني لا يسعه قبول الاقتراح بالرحيل فوراً وما يعني ذلك من تعريض عوائل الكورد البارزانيين بمن فيها من نساء وأطفال وشيوخ ومرضى إلى هلاك محقق وسط برد شتاء كوردستان القارس، خاصةً وإن أفراد العوائل البارزانية كانوا يعانون الجوع، ويفترقون إلى الملابس، وقد تفشى فيما بينهم مرض التيفوئيد بشكل رهيب.

بالمقابل لم يكن بوسع البارزاني أن يقبل المقترح الأول ويسلم نفسه ورجاله من أوفى أوفياء الكورد إلى السلطات الإيرانية، ذلك لان **ليس في قاموس البارزاني شيء اسمه الاستسلام أو التخلي عن السلاح أو مساومة على حقوق الكورد والرضوخ لمشيئة أعدائه مهما فاقت قدراتهم قدراته.** وكان الشاه على أتم علم بخصال البارزاني هذه. كان البارزاني، ومثلما ينقل عنه مؤلف هذا الكتاب تفرشيان، يردد أمام مقاتليه وبيشمه ركته دائماً (عندما تتخلى عن سلاحك يكون قد رضيت أن يقرر الآخرون مصيرك، وتكون مضطراً أن تخضع لمشيئتهم).

كما كان يقول أيضا:

(من قال لكم أن الملا مصطفى يسلم نفسه؟ الملا مصطفى لا يسلم نفسه لأحد).

من جانب آخر كان البارزاني القائد يعلم تماماً أن الإيرانيين، وبالأخص رئيس الوزراء قوام السلطنة، يعملون من أجل خداعه وإيقاعه في الفخ، وانه سيلقي القبض عليه وعلى رجاله من نخبة مقاتلي الكورد حالما يقبل مقترحاتهم بإلقاء السلاح، سيما وان لحكام إيران سوابق مخزية في عدم الإيفاء بتعهداتهم والإساءة إلى ضيوفهم. لذلك كان على البارزاني أن يعمل، وهو في طهران،بشكل يتجنب إثارة بغضاء النظام تخلصاً من المصيدة لهذا السبب قال للشاه:

(بالنسبة لي، ليس هناك اعتراض على مقترحاتكم، لكن الشيخ احمد هو رئيس العشيرة وهو الذي يجب أن يقرر في هذه المسائل).

في الحقيقة تمكن البارزاني الخالد من العودة إلى أحضان رجاله الأوفياء في كوردستان وسط عشيرة بارزان الوفية دون أن يفصح للمسؤولين الإيرانيين عن قرار واضح.

بعد عودة البارزاني من طهران واستشارة شقيقه الأكبر الشيخ احمد وعدد آخر من الزعماء ومسئولي العشيرة تقرر عدم الموافقة على أي من المقترحات التي قدمتها الدولة الإيرانية.

وفي مقابل رفض المقترحات هذه، قرر البارزانيون الاحتماء بالمناطق الجبلية الوعرة، والركون إليها حتى يحين الربيع للانسحاب نحو الحدود السوفييتية. وكان البارزاني يهدف من وراء ذلك العثور على ملاذ آمن للنساء والأطفال من عشيرة بارزان ليتمكن هو وبيشمه ركته المضي قدماً في تحقيق أهدافهم على طريق (استقلال كوردستان) كما يوضحه بنفسه. لكن الهجوم الواسع والمفاجئ الذي شنه الجيش الإيراني على البارزانيين واندلاع معارك دموية شرسة بين الطرفين، أحبطت الخطة التي كان البارزاني ينوي اتباعها.فأضطر الالتجاء برجاله وعوائلهم نحو المناطق الجبلية الوعرة حيث عانوا كثيراً من البرد والثلوج والأمراض إضافة إلى ما ألحقته بهم طائرات القوة الجوية الإيرانية من خسائر جسيمة في الأرواح، وتسبب القصف الجوي بمقتل العديد من الأطفال والنساء يومياً. وكان الشاه نفسه قد أمر مباشرة بضرب الطائرات للقافلة البارزانية المنسحبة نحو الحدود بغية الحاق اكبر الخسائر بها والانتقام من العزل. كان قرار الشاه يتضمن:

(لا تدعوا البارزانيين يعبرون، اعملوا على تركيز القصف الجوي على قافلة عوائلهم، لكي لا يلحق المزيد من العار بالجيش، ويتلقى البارزانيون درساً لن يفكروا في الإقدام على ما اقدموا عليه مرة أخرى).

حول الأضرار التي كانت تصيب القافلة البارزانية، كان البارزاني نفسه يشكو من هذه الناحية ويقول:

(كانت نقطة الضعف التي نعاني منها في تلك الحرب هي تعرض النساء والأطفال والعوائل إلى قصف العدو الجوي في أطراف محاور القتال، وكان العدو قد تعرف على نقطة الضعف هذه فأرادوا استغلالها، وقصف عوائلنا بشدة وبشكل وحشي ومفجع).

مع ذلك، وبفضل ما أبداه البارزانيون من مقاومة بطولية مذهلة، والتضحيات التي قدمها رجال البارزاني بسخاء ونكران ذات، وما عبروا عنه من أمثلة الفداء والإخلاص، تمكنت العوائل من عبور الحدود، **والعودة إلى موطنها في بارزان الشامخة ولم يجن الجيش الإيراني من عدوانه الظالم غير الذل والعار والانكسار حيث مني بهزائم منكرة.**

رغم كل ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الجيش الإيراني ربما لم يكن يفكر في شن العدوان على البارزانيين لولا تلك الظروف العصيبة والأحوال السيئة التي كانوا يعيشونها بسبب فقدان العوائل للطعام، وكل وسائل العيش وفتك الأمراض بها، وحاجة المقاتلين إلى العتاد، وربما أيضا، لم يكن البارزاني يفكر في الانسحاب من كوردستان إيران لولا تلك الظروف نفسها، **ذلك لأن ليس هناك من فرق عند البارزاني بين هذا الجزء من كوردستان أو ذلك، كان همه النضال من اجل حقوق الكورد، ودفع المعاناة عنهم، وأينما تواجدوا.**

يوضح تفرشيان هذه الحقيقة حين يكتب قائلاً:

(قال لنا البارزاني: أتمنى أن يأتي يوم ارفع فيه علم كوردستان على رابية من أرضها، ولا يهم أن يكون ذلك في كوردستان العراق، إيران،تركيا، لا فرق أبدا).

على أية حال، وبفعل الأوضاع المأساوية التي كان يعيشها البارزانيون بمعية عوائلهم في كوردستان إيران، وضغط الجيش الإيراني المتواصل وبعد الحدود السوفييتية وما سببه البرد والثلوج من مصائب وأهوال، وعدم مقدرة وإمكانية الأشقاء الكورد في كوردستان إيران ورغم كل ما قدموه من مساعدات ممكنة للبارزانيين، من إيوائهم وتقديم المزيد من العون لهم بسبب تعرضهم إلى القمع الحكومي، أضطر البارزانيون إلى التخلي عن مقصدهم في الالتجاء إلى الحدود السوفييتية، فكان أن باشر المرحوم الشيخ احمد عند نقطة قريبة من الحدود العراقية في إجراء مفاوضات مع المسؤولين في الحكومة العراقية بغية توفير الظروف المناسبة لعودة العوائل البارزانية إلى مواطنهم في بارزان بكوردستان العراق وهكذا وبعد أن تم الاتفاق، عبرت المجموعات البارزانية نهر كادر وعادت إلى الأراضي العراقية.

أما مصطفى البارزاني وبصحبته حوالي ((550)) مقاتلاً من النخبة فقد احتفظوا بمواقفهم في المنطقة الحدودية حتى تمكنت قافلة العوائل البارزانية من الوصول إلى قصبة ديانا. لقد رفض البارزاني ،كما كان شأنه دائماً التخلي عن النضال والمقاومة وأبى المساومة لأنه (أراد الاحتفاظ بسلاحه وانتظار الفرصة المناسبة لتحقيق أهداف الشعب الكوردي).

وقد حاول قضاء الوقت في المناطق الجبلية الحدودية وتنظيم قواته والاستمرار في الثورة إلا أن مبادرات التنسيق والتعاون المشترك بين أنظمة وجيوش الدول الثلاث تركيا، وإيران، والعراق

للقضاء على القوة البارزانية، قضت على كل فرص البارزاني ورجاله في المقاومة، لذلك اضطر التوجه شمالاً باتجاه الحدود السوفييتية، وتسلق الجبال الوعرة، وقطع مسافة (350) كيلو متراً في خلال (20) يوماً، ليصل برجاله من الطليعة الثورية للحركة الكوردية، ضفة نهر آراس الشهير ويعبر منه إلى داخل الأراضي السوفييتية. وتعد هذه **المسيرة التاريخية المطرزة بالعديد من البطولات النادرة والكثير من التضحيات الجسام، وما تخللتها من أعمال المقاومة الجريئة والتصدي الباسل لقوى الأعداء، صفحة مشرقة في تأريخ شعب كوردستان وحركته التحررية ونضاله من اجل بلوغ أهدافه القومية المشروعة.**

يبدو واضحاً، أن البارزاني بالتجائه إلى الأراضي السوفييتية واختياره مجموعة جريئة من اكثر من (500) مقاتل يمثلون صفوة القوة البارزانية المحاربة، كان يأمل العودة بأسرع وقت إلى كوردستان لمواصلة النضال على طريق أهداف الشعب الكوردي. وتظهر هذه الحقيقة في التصريحات التي كان يدلي بها البارزاني الخالد والتي نقلها عنه مؤلف هذا الكتاب حيث يقول عنه:

(كان البارزاني يعد الاتحاد السوفييتي المكان الملائم الوحيد للتوجه إليه والإقامة فيه مؤقتاً، وريثما يحين الوقت المناسب للعودة إلى العراق **ومتابعة قضية إقامة حكومة كوردستان)**، لذلك لم يكن البارزاني يريد أن يساوم على قضيته أبداً، ولم يكن حاضراً أن يسلم نفسه لأحد وأراد الاحتفاظ بسلاحه دوماً، كما أن البارزاني كان يأمل ضمان المعونة السوفييتية للحركة التحررية الكوردية.

لكن مع الأسف طالت إقامة البارزاني ورفاقه في تلك البلاد **وتعرضوا فيها إلى الاضطهاد، لحين من الوقت، حيث كان الاتحاد السوفييتي حينذاك قد أدار ظهره للحركة التحررية الكوردية.**

يعد النضال الذي مارسه البارزانيون والمقاومة التي عبروا عنها داخل الاتحاد السوفييتي وما تعرضوا له من معاناة ومصاعب بسبب السياسة الستالينية الشوفينية، صفحة مهمة جداً لم يجر تسجيلها بعد.

عاد البارزاني إلى العراق بعد ثورة 14 تموز 1958 وهبطت طائرته مطار المثنى يوم 6 تشرين الأول 1958، بينما عاد رفاقه وعوائلهم بالباخرة ووصلوا ميناء البصرة عام 1959.

لقد أظهرت مراسيم الاستقبال العارم التي جرت للبارزاني الخالد، والتي شارك فيها كل أبناء العراق ومن مدينة البصرة وحتى أربيل والهتافات والأهازيج الشعبية التي رددها جموع المستقبلين العراقيين، أن كل الشعب العراقي وبكافة قومياته وأقلياته، وليس الشعب الكوردي وحده، ينظر بافتخار وعز إلى هذا الزعيم الوطني الكبير .

عزيزي القارئ:

ما تطالعه في هذا الكتاب، عبارة عن مذكرات الضابط الإيراني (أبو الحسن تفرشيان) وهو أحد الضباط المشاركين في حركة ضباط خراسان عام 1945. وكان هؤلاء الضباط من أعضاء حزب تودة (الحزب الشيوعي الإيراني) قاموا بحركة مسلحة ضد نظام الشاهنشاه.

لم تستطع الحركة تحقيق أهدافها بإسقاط النظام بسبب انعدام الخبرة والتجربة لدى القائمين بها، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بسبب عدم مساندة أي من حزب تودة أو الاتحاد السوفييتي لحركة خراسان.

بعد الإعلان عن جمهورية آذربيجان الشعبية انضم النقيب أبو الحسن ورفاقه إلى الجيش آذربيجان. وبعد قرار عدم المقاومة الذي اتخذه قادة جمهورية آذربيجان وكوردستان التحق بعض هؤلاء الضباط بالقوة البارزانية وعملوا تحت قيادة الملا مصطفى البارزاني الذي رفض الاستسلام للدولة الإيرانية، وبلغ عدد هؤلاء (10) ضباط، انظموا إلى البارزانيين أواسط شهر كانون الأول 1946 وشاركوا القوة البارزانية في قتالها ضد الجيش الإيراني الزاحف على كوردستان،كما شاركوها في الانسحاب إلى الحدود العراقية أواسط نيسان عام 1947.

سلم هؤلاء الضباط أنفسهم إلى السلطات العراقية بعد أن أجروا مباحثات مع المسؤولين الحكوميين عند الحدود، وكانوا يأملون أن تعاملهم الحكومة العراقية معاملة اللاجئين السياسيين، لكن الحكومة العراقية نقضت العهد معهم وسلمتهم دون أن تشعر بشيء من الخجل والحياء إلى الحكومة الإيرانية. **وقد سجل أبو الحسن تفرشيان مذكراته للفترة التي تحدثنا عنها وأصدرها في كتاب بعنوان (حركة ضباط خراسان) الذي أهداه إلى ابنته فريدة.**

وقد اخترنا لترجمتنا عنوان (البارزاني لن يسلم نفسه لأحد) وهي مقولة للبارزاني نفسه نقلها عنه تفرشيان، لأننا نعتقد أن هذا العنوان اكثر إثارة لانتباه القارئ الكوردي من العنوان الأصلي للكتاب.

شوكت شيخ يزدين
14 تشرين الثاني 1996
مصيف صلاح الدين

كلمة للطبعة الفارسية الأولى

للسيد تفرشيان

عزيزي القارئ:

الكتاب الذي بين يديك يتحدث عن وقائع تعتبر جزءاً من مكنونات التأريخ المعاصر لبلادنا.أنا كنت ذرة متناهية في لبنات هذا التكوين.

في شهر يور من عام 1320. وسط الحرب العالمية الثانية، أصبحت ضابطاً، وقعت في اسر القوات السوفييتية مباشرة بعد هذا التأريخ، وقضيت عدة أشهر في معتقل (عشق آباد). ساهمت في حركة ضباط خراسان. وأصبحت ضابطاً في الجيش الوطني الآذربيجاني.

شاركت البارزانيين في قتالهم ضد الجيش الإيراني، ومن ثم التجأت إلى العراق في شهر فروردين عام 1326. في فروردين من عام 1329، أعادني العراقيون إلى إيران، ومنذ ذلك التأريخ قضيت أعواماً طويلة في السجن.

بعد انقلاب 28 مرداد، أبعدت إلى جزيرة خارك. وأخيراً وبعد أن قضيت ستة عشر عاماً وعدة أشهر في السجن، أطلق سراحي في فروردين عام 1342.

في هذه المذكرات أتحدث فقط عن الوقائع التي شهدتها أو سمعتها أثناء عبوري من قناة ضيقة، وأؤكد هنا أيضا أنى كنت أشبه ما كنت بسمكة صغيرة ارتطمت بصخور القناة وأتعجب كيف بقيت على قيد الحياة.

لم تكن من تدوين المعلومات الوافية عن الأحداث والوقائع التاريخية لتلك الفترة بالرجوع إلى المصادر والمراجع. لقد حاولت فقط أن أروي لابنتي ما شاهدته أو سمعته أو شاركت فيه من أحداث وبالاستعانة بذاكرتي فقط، اروي لها هذه الذكريات بعد أن وجدتها عام 1350 في برلين الشرقية بعد فراق دام خمسة وعشرين عاماً.

ارجوا أن تنير أحداث هذه التجربة زاوية مظلمة من تأريخ بلادنا وان تساعد الشباب المخلص والجريء لبناء المستقبل الحقيقي لوطننا.

هذه الحوادث جميعها تمتلئ بالبطولات والحماس والتضحية والشهادة لكن نتيجتها المؤسفة تؤكد أن تطور المجتمع وإحداث التغييرات فيه مرهون مجموعة من القوانين المنظمة لحركة المجتمع، ولا تستطيع التضحيات الفردية أو نضال مجموعات منه دون الاشتداد والتلاصق مع جماهير الشعب وطموحه تحقيق نتائج مرضية.

هذا ما يجب أن يدركه الجميع.

أبو الحسن تفرشيان

شهريور 1355

الفصل الأول

حركة ضباط خراسان ـــــــ

-احك بابا، احك قصة !

-على العين والرأس، كان يا ما كان...

-لا:،لا، لا أريد هذه القصص، احك قصتك أنت.

-آها، تريدين حكايتي أنا، حسناً اسمعي!

في 29 مرداد 1320، أصبحت ضابطاً ويصادف هذا التأريخ أواسط الحرب العالمية الثانية حيث كانت بلادنا محتلة من قبل القوى الخارجية.

وكانت آمرية كلية الضباط قد أطلقت حينذاك شعار (في بدلة القتال لا في بدلة الاحتفال)، استلمنا نحن الضباط البنادق وألبسونا الملابس العسكرية فوراً، وبعثوا بنا إلى وحداتنا للمشاركة في جبهات الحرب.

كانت مهمتي تقع في مدينة (مشهد) عليه قصدت المدينة هذه، وتوضح أن الجبهة كانت في باجكيران وسرخس وتلك الأنحاء. لم يلتقي جيشنا بأي وجه في مواجهة مع الجيش السوفييتي، لقد عدنا،أقصد عاد الجنود، من منتصف الطريق من تلقاء أنفسهم.

إحدى هذه الوحدات العائدة من الطريق إلى الجبهة كانت عبارة عن فوج للمدفعية، ولأني كنت ضابط مدفعي أتذكر أن الفوج وصل إلى المعسكر في مشهد يوم الرابع عشر أو الخامس عشر من شهر شهريور، كنت في ذلك الوقت ابلغ من العمر واحداً وعشرين عاماً.

من الأفضل أن أشير إلى أني من أهالي مدينة (نيشابور) وتسكن هذه المدينة والدتي وأفراد عائلتي، وحين وصلت إلى نيشابور قادماً من طهران في الطريق إلى الالتحاق بوحدتي في جبهة الحرب، لم تستطع والدتي الاحتفاظ بي لديها في نيشابور لأكثر من ليلة واحدة، كنت أريد الالتحاق بواجبي بأسرع وقت لأني كنت أظن أن البلاد بحاجة لي، وكنت أحاول أن أفيد وطني بشيء ما.

كانت والدتي تخشى أن أتعرض لخطر، وتود أن تبقيني إلى جانبها لعدة أيام، لكني كنت أود من صميم قلبي الوصول إلى مشهد حيث تقع وحدتي العسكرية.

في مشهد كان الوضع مضطرباً يحكمه الفوضى. عند الصباح كانت المخازن والحوانيت تفتح أبوابها بشكل اعتيادي، لكن ما أن يشيع أحد ما خبراً عن مجيء الروس حتى تغلق جميع المحلات أبوابها، وبعد نصف ساعة أو ساعة يتبين أن النبأ كان غير صحيح فيعود أصحاب المحلات إلى أعمالهم، لم يكن هناك من أحد يوجه أو يرشد هذا المجتمع البائس والسائب. كل ما كان مسئولو الدولة يسعون إليه هو محاولة الإبقاء على عمل الأفران لتأمين الخبز للمواطنين من سكان المدينة. قصدت المعسكر بعد وصولي مشهد فوجدته خاوياً، ذهبت إلى قيادة الأركان، هناك أيضا لم أجد سوى ضابطين يعيشان في حيرة من أمرهم. كان هناك ضابط انضباط أيضا، يسعى جاهداً وبمساعدتنا جمع الجنود الذين تفرقوا وذلك بغية تأمين الحراسة داخل المعسكر. بأية حال تمكنت من أن اجمع ما يقارب ال(25) جندياً في الثكنة.

في تلك الأيام نفسها، ظهرت طلائع الفوج الذي كنت قد نسبت إليه، ووصل آمره الذي كان يدعى (العقيد لطف الله افشار اوغلي) إلى معسكر.

بعد (48) ساعة من ذلك، انتشر خبر وصول الجيش السوفييتي إلى مشهد، ذهب آمر الفوج للتباحث معهم، وقد ابلغوه انهم لم يأتوا لمحاربتنا وليست لهم علاقة بنا، كانوا قد قالوا له: نحن أصدقاء إيران وليس لنا شيء ضد جيش إيران، وقد جئنا بهدف تطهير إيران من القوات الألمانية. هذا الآمر أي آمر فوج المدفعية هو الوحيد بين أمراء الوحدات كان قد بقي في مشهد، وقد سلم نفسه إلى الجيش الأحمر حال مجيئه، وعندما ابلغوه بالذهاب ليلاً إلى مقر قيادة الأركان أجابهم (على الرأس والعين) فقام بدعوتنا والتحدث قائلاً: هؤلاء أصدقاؤنا، انهم لم يأتوا لقتالنا وسيبقون على جيشنا بوضعه الذي عليه، ولن يتعرضوا له، ثم قام بنشر الحراس داخل المعسكر وأخذنا معه إلى مقر قيادة الأركان، وما أن وصلنا أمام باب القيادة حتى حاصرتنا مجموعة من جنود الجيش الأحمر من حملة الرشاشات وطلبوا منا الدخول إلى غرفة داخل بناية قيادة الأركان.

بعد ذلك ابلغنا جنود الجيش الأحمر قائلين: انتم ضيوفنا وسنقوم بخدمتكم هذه الليلة !.

ابقوا علينا هناك لمدة (48) ساعة ثم انقلونا إلى الفندق (باختر) اكبر فنادق مشهد في ذلك الوقت وكانوا قد أقاموا الحراسات على أطرافه وقد دعوا جميع الضباط للتعريف بأنفسهم أمامهم في نداء أوضح السوفييت فيه انهم أصدقاؤنا وقد جاءوا لمساعدتنا والتعاون معنا وقالوا: إن جيشنا لن يتعرض له أحد بسوء ويبقى على وضعه وبينوا أن من الضروري أن نتعاون معهم.

هكذا استسلم لهم عدد كبير من الضباط، وقد امتلأ بهم فندق (باختر) وفندق آخر باسم (مللي) وبلغ مجموعهم مائة وستة وتسعين ضابطاً من جيش خراسان.

طالت مدة حجزنا في الفندق لحوالي (20) يوما، ثم أركبونا الشاحنات باتجاه (عشق آباد) داخل الأراضي السوفييتية، عندما وصلنا إلى عشق آباد، كنا في حالة انهيار تام، وقام السوفييت بإخلاء قسم من سجن عشق أباد وحشدنا فيه، كان مجموعنا يبلغ حوالي (170) ضابطاً.

طالت مدة أسرنا من قبل الجيش الأحمر لحوالي ثلاثة اشهر ونصف، حيث نقلنا إلى عشق آباد في اليوم الرابع والعشرين من شهر شهريور وأعادونا إلى إيران في اليوم الرابع عشر والخامس عشر من شهر دي.

عندما أعادنا السوفييت إلى إيران تم تسليمنا إلى محافظة مشهد، وهناك ابلغنا المسؤولون في المحافظة بمراجعة السلطات في طهران بعد ارتداء الملابس المدنية حيث كنا لم نزل نرتدي بدلات ضباط الجيش الإيراني.

بقينا جنب عوائلنا (10-15) يوماً قبل أن نتوجه إلى طهران وكنت أنا اشتاق لرؤية عائلتي وأهلي فعندما كنت في الأسر وأتذكر إيران، كان يتراءى أمام أعيني وباستمرار وجهاً معصوماً باكياً، وجه خطيبتي التي جاءت يوم ترحيلنا إلى الأسر ولم يسمحوا لها بملاقاتي. كانت واقفة على طرف الشارع مقابل الفندق حينما هممت بركوب السيارة ووقعت عليها أعيني كانت تبكي ملء العين والدموع تنهر من عينيها الجميلتين بعنف وغزارة مثل خزات مطر ربيعي، في ذلك اليوم وبغية مواساتها وعدم مضاعفة حزنها ابتسمت في وجهها وحييتها بيدي وتحركت السيارة لكن الصورة تلك لم تختف عن ناظري أبدا.

بعد خمسة عشر يوماً قضيتها في مشهد أخذت زوجتي وقصدت طهران وبقيت فيها ثلاثة اشهر في حيرة وقلق.

حينما وردت إلى طهران كانت بلادنا محتلة من قبل ثلاثة جيوش أجنبية، وعندما كنا نخرج إلى شوارع المدينة ونشاهد الضباط الروس والإنكليز والأمريكان نشعر بأنفسنا صغاراً تجاههم.

كنت أطالع جريدة (اطلاعات) وكذلك جريدة (اقدام) بغية التعرف على ما يجري في البلاد، كانت هناك مواضيع جديدة تثير انتباهي أحيانا مثل مناقشات البرلمان التي كانت تنشرها الصحف باستمرار.

بعد حوالي ثلاثة اشهر من ورودي إلى طهران تقرر -وبعد استشارة السوفييت طبعاً- تشكيل لواء من الجيش في (تربت جام) وعهد إلي بمهمة في هذا اللواء الذي كان من المزمع تشكيله، وقد أعلن عن اسم آمره وضباطه وأبلغنا الالتحاق به حالما يتم تشكيله الفعلي.

بعد عدة اشهر تشكل اللواء في (تربت جام) والتحقت بواجبي فيه في شهر خرداد أو تير من عام 1321. كان العقيد (يكر نكيان) يتولى في ذلك الوقت رئاسة قيادة أركان اللواء وكان مقره في مدينة مشهد. عرفت نفسي إلى العقيد يكرنكيان وعرضت عليه العمل في مقر الأركان إلى أن يتم تشكيل لواء (تربت جام) وقد رحب بالعرض وبعد أن تشكل اللواء خدمت فيه في تربت جام لثمانية أو تسعة اشهر ثم نقلت إلى مشهد مرة أخرى. وكان اللواء الذي نقل إلى مشهد قد جلب معه بطرية مدفعية لفرقة (8) الشرق فعهد إلي بآمرية تلك البطرية عند نهاية 1321 وبداية عام 1322.

في أواخر عام 1322 افتتح في مشهد المركز الثقافي الإيراني السوفييتي (فكس) وابلغنا قائد الفرقة بإمكانية ذهاب من يريد تعلم اللغة الروسية إلى المركز المذكور، وقد فرحت بهذا الخبر كثيراً وأردت عمل شيء مفيد لم يكن هناك ما نقضي به وقت الفراغ.

في عام 1323، وعندما كان (رزم آرا) رئيساً لأركان الجيش قرر إجراء عدد من التنقلات للضباط تحاشياً لتمركز البعض في طهران بصورة دائمة، وبقاء البعض الآخر في المدن الحدودية. كان من ضمن الضباط الذين نقلوا من طهران إلى مشهد الرائد (علي اكبر اسكندانى) الذي كان آمراً لصنف المدفعية في الكلية العسكرية أثناء دراستي فيها.

التقيت به في الشارع في اليوم الثاني من مجيئه إلى مشهد صدفةً، وكان ذلك في إحدى أيام شهر مهرماه من عام 1323. بعد الاستفسار عن الصحة والأحوال تبين انه في فندق (باختر) ولاني كنت اسكن المدينة واملك فيها داراً واسعة، عرضت عليه الإقامة معنا بصورة مؤقتة ريثما يجد له داراً، وقد رحب بما عرضت عليه فأخذته معي في نفس تلك الليلة.

كنا نتطرق في أحاديثنا بعد العشاء إلى مختلف المواضيع وشعرت بعد عدة أيام أن ما يتحدث به يختلف عن أحاديث الآخرين الاعتيادية وشيئاً فشيئاً أحسست انه وبخلاف من رأيتهم من الضباط يتطرق إلى مواضيع جديدة لم اكن قد سمعت بها من قبل، وقد تأثرت بما كان يطرحه وودت استيعاب طروحاته، تحدث لي لعدة ليال وبصورة مستمرة عن المادية الجدلية والمادية التاريخية وأصول المجتمع وقوانين تطوره ومراحل نموه، وقمت بعدها بدراسة مستفيضة لأصول المجتمع.

في إحدى تلك الليالي سألني اسكندانى عن رأيي في السوفييت فقلت:

-أتمنى أن اسمع في هذه الليلة خبر اندحارهم وان يهب الشعب غداً إلى الشوارع لطردهم من بلدنا. قال:

-رأيك هذا نابع من نظرة إلى الماضي، ذلك لان الجيش القيصري قام بأعمال لازال الناس يتذكرونها بسوء، ولكن الجيش الأحمر يختلف من الأساس عن جيش القياصرة الروس. امتد حديثنا

حول الموضوع حتى منتصف الليل، وان لم اقل انه أزال عني البغض تجاه الجيش الأحمر، فأنه على الأقل غير الكثير من قناعاتي وتصوراتي. بعد ذلك ونتيجة مطالعاتي المستمرة أصبحت أحب الجيش الأحمر وأفرح به.

بعد عدة ليال ابلغني اسكنداني قائلاً:

- (أنا عضو في حزب تودة) لم أتعجب بما كشف عنه، وعندما سألني عن رغبتي في الانضمام إلى هذا الحزب، قلت:

لم يكن ضرورياً أن تسألني ،طبعاً أينما تكن أنت اكن أنا، وتحدث لي عن شروط الانتماء إلى حزب تودة ثم قام هو و(بروين كنابادي) بتزكيتي، ووقعت على استمارة الانتماء إلى الحزب. وكنت اعرف بروين كنابادي من قبل، حيث كان يدرسنا مادة الأدب في إعدادية (شاه رضا) في مشهد وكان في ذلك الوقت يصدر جريدة (راستي-الحقيقة) الناطقة بلسان اللجنة الإقليمية لحزب تودة الإيراني في خراسان، وأبلغني اسكنداني عنه انه عضو اللجنة المركزية للحزب.

وقد سمعت أن بعض الضباط في الكلية العسكرية كانوا قد شكلوا في ذلك الوقت منظمة أخرى، لا أتذكر اسمها بالضبط، يحتمل أن تكون (منظمة القوميين الإيرانيين) وكان يقال لن (اريانا) الذي كان يسمى (منو جهر) يترأس تلك المنظمة، كما كانوا يقولون أن آريانا فاشي، وانه يؤيد الألمان، غير أني اعتقد أن آريانا لم يكن فاشياً، إنما كانت مواقفه وآراؤه على صورة يجذب معها نحوه الشباب الوطني والقومي.

وكانوا يقولون أيضا أن (روزبه ودانش ومرتضوي وقاضي أسد الاهي) من ضباط الكلية العسكرية يقفون بصف آريانا ويحيطون به، وقد انضموا إلى حزب تودة فيما بعد. واسكنداني نفسه قد انضم إلى حزب توده عام 1322 عن طريق العقيد (آذر).

كان العقيد آذر ضابطاً كفوءاً، تلقى تعليمه في فرنسا، وكان أستاذ المساحة في الكلية العسكرية، وأستطيع أن أقول أن الفكر الماركسي دخل الجيش بواسطة آذر. وقد تمكن آذر ومن ثم روزبه من كسب قاضي الاهي ومرتضوي ورصدي اعتمادي وحاتمي ومعظم الضباط الأكفاء في الكلية العسكرية إلى جانبهم.

نقل اسكنداني إلى مشهد في شهر تير عام 1323، واستطاع منذ ذلك اليوم وإلى شهر مرداد عام 1324 حين وقعت حركة ضباط خراسان أن يكسب إلى جانب حزب تودة واحداً وعشرين ضابطاً وكان اسكنداني، وبعد أن وصل عدد الأعضاء إلى (14) ضابطاً. قد اقترح إجراء الانتخابات قائلاً، إن منظمتنا يجب أن تكون ديمقراطية، وان يساندها الحزب. وقد حضر سكرتير اللجنة الإقليمية للحزب في مشهد، باقر علي إلى الاجتماع. وبحضوره تم اختيار اسكنداني مسؤولا عن المنظمة كما اختير ثلاثة ضباط آخرين للهيئة التنفيذية. في ذلك الوقت كان عدد الضباط المقتدرين لا يتجاوز أصابع اليدين، وكان روزبه وقاضي اسد الاهي ومرتضوي ورصدي اعتمادي وآكاهي والآخرين أيضا أعضاء في حزب تودة. وكان هؤلاء هم الذين قرروا في طهران تنظيم الحركة في مرداد 1324، وكانت فكرة القيام بالحركة قد نضجت في تفكير اسكنداني تحت تأثير شخصية (تيتو) الذي كان معجباً به ويقول عنه:

-الزعيم هو ذلك الشخص الذي يقصد الجبال ويجمع من حوله الأنصار ويكسب المعركة مثل تيتو، وليس مثل أولئك الذين يجلسون وراء المناضد في شارع الفردوسي.

كان اسكنداني إداريا ومفكراً جيداً، كان من المكن، لو بقي على قيد الحياة، أن يكون شخصاً مؤثراً جداً في الحركة.

عندما كان اسكنداني ينظم أمور الحركة حاول الحصول على الأموال والاحتياجات الأخرى لحرب العصابات، وفي سبيل ذلك أوصى آمر الركن 3 الذي كان من رفاقنا بإيداع مسؤولية الشؤون المالية إلى رفيقنا الآخر الملازم أول (نجدي) وقد ابلغه بالتوجه إلى الزقاق الفلاني بعد استلامه الرواتب، وكانت الخطة تقضي أن يتعرض له رفيق آخر في نفس الزقاق لضربه، والفرار بالمال بواسطة دراجة هوائية لمصلحة منظمتنا. وهكذا، ودون أن ينتبه أحد لأمر المنظمة، استحصلت على ثلاثين ألف تومان من رواتب الضباط، وللحصول على المال أيضا، تم بيع شحنة إطارات كانت مخصصة لفرقة مشهد في الطريق بين طهران ومشهد، وكانت قيمة الإطارات قد ارتفعت كثيراً أثناء الحرب، وقد نظم اسكنداني، الذي كان يتولى آمرية النقل، وصولات الاستسلام ولكن دون ادخال اطار واحد في مستودعات الفرقة، وفي هذا المجال أيضا أوصانا أسكنداني بادخار وتوفير أي مبلغ من المال قد يفيدنا في المستقبل.

في الوقت نفسه الذي كان اسكنداني ينظم ويخطط للقيام بحركة، كان عدد من الضباط في طهران يرغبون في تنظيم وتشكيل نواة حركة مسلحة لحرب العصابات في إحدى زوايا البلاد، وقد وضعوا لهذا المرام خطة لم تصل إلى مرحلة التنفيذ، ومن اجل نيل ثقة الحزب ورضاه كانوا يدعون أن أمر بعضهم قد اكتشف للسلطات، وينبغي نقلهم إلى مكان آمن، ويظهر أن الحزب اقتنع بدعواهم فقرر نقلهم إلى المناطق الشمالية للاختفاء هناك ومواصلة العمل الحزبي.

لهذه الغاية تم في شهر مرداد عام 1324 استئجار سيارة باص من أحد كراجات شارع (ناصر خسرو) ونقل إليها كل أولئك الضباط بملابسهم من مسكن آذر، وعندما قصد سائق الحافلة الكراج لعمل خاص به، لاحظ الضباط أن صاحب الكراج تناول سماعة الهاتف وخابر جهة معينة بعد أن تحدث مع السائق، وظن الضباط أن السائق وشى بهم، وان المخابرة تجري مع قيادة الجيش، فترجلوا بسرعة من السيارة، وتوجه كل واحد منهم إلى ناحية، وحتى عدداً منهم ترك حقائبه في السيارة. عند صباح اليوم التالي ذهب البعض منهم إلى المعسكر لمواصلة عمله المعتاد وكأن شيئاً لم يحدث، بينما غادر البعض الآخر من الذين شعروا بالخطر طهران سراً.

كان اسكنداني قد أقنع جميع الضباط أن الحركة بقدر ماهية ضرورية فأنها فكرة قابلة للتنفيذ، كان هناك اثنان فقط من الضباط يعارضان الفكرة بأسانيد ضعيفة، أولهما الملازم أول صراف زادة، وثانيهما الملازم أول شهيد نوراني ولا اعرف ماذا حل بهما الآن أو أين استقر بهما المقام.

قبل البدء بالحركة بعث اسكنداني أحد أعضاء اللجنة التنفيذية (النقيب بهرام دانش) إلى طهران للاتصال بقيادة الحزب، وكذلك الاتصال بالعقيد آذر، ولإن آذر اقتنع بضرورة القيام بالحركة تقرر إيداع الخطة المقررة إليه للعمل على إقناع اللجنة المركزية لحزب تودة للمصادقة على الخطة وتأييدها. ولم يتم طرح الخطة على اجتماع رسمي لأعضاء اللجنة المركزية للحزب، فقط وكما قال، طرحت الخطة على السادة (كامبخش وايرج اسكندري واردشير اوانسيان) وقد أيد البعض منهم فكرة الحركة بينما عارضها البعض الآخر، ولاشك انه لم يكن لتأييدهم أو معارضتهم صفة رسمية، لكن أعضاء منظمة الضباط، ومنهم روزبه البطل، أيدوا قيام الحركة، وقد قال دانش في اليوم الثاني، حينما عقد العزم على العودة إلى مشهد، إننا سنقوم بالحركة إن وافقت اللجنة المركزية أو لم توافق.

كانت التجهيزات واللوازم الأخرى الضرورية مثل: الملابس والزمزميات وجعب الرصاص والمواد الغذائية وغيرها قد أعدت مسبقاً ووضعت في مسكن العقيد (أبو القاسم عظيمي) الذي اعدم فيما بعد في آذربيجان. في الليلة التي تقر فيها البدء بالحركة كان قد تم توزيع الأدوار والأعمال، وكان من ضمن مهمتي، باعتباري آمر البطرية المستقلة للفرقة الثامنة خراسان، تأمين (20) قطعة

بندقية وعشر مسدسات ومقدار من الأعتدة، وكان من واجب اسكنداني تأمين إحضار شاحنتين وجيب وتعطيل كافة آليات الفرقة للحيلولة دون تعقبنا.

ليلة 25 مرداد 1324، تحركنا باتجاه قوجان، وكان مجموعنا يبلغ (19) ضابطاً وستة جنود. في الطريق قطعنا أسلاك البرق والهاتف في كل ناحية.

أهم حادث صادفنا على الطريق كان عملية نزع سلاح ثكنة (مراوه تبه) ومراوه تبه هذه مدينة صغيرة تقع قرب الحدود السوفييتية كانت فيها ثكنة عسكرية تستقر فيها سرية.

كانت أوامر اسكنداني توجب إطلاق النار من غير تردد، ودون سؤال أو جواب على أي من الجندرمة أو الحراس حال اعتراضهم للرتل أو طلبهم الوقوف من السيارات. لم تقع حادثة من هذا النوع على طول الطريق، حتى في بجنورد استطعنا المرور بكل سهولة بسبب معرفة الحراس لرفاقنا الذي كانوا يقودون السيارات وينقلون المؤن إلى تلك الأنحاء، في الليلة التالية وصلنا أطراف مراوه تبه، وأقمنا الحراسات حول المدينة أثناء الليل وعند الصباح تم تجريد السرية من السلاح بسهولة. كان آمر الركن 3 من أركان الفرقة (الرائد بير زادة) معنا، وكانت بحوزته مستمسكات حول صدور قار من طهران بإرسال هيئات تفتيشية للمعسكرات، وكان قد ابلغ هذا للامر في وقت سابق إلى المعسكر، واعلمه أن لجنة من الفرقة ستزور الموقع قبل وصول اللجنة التفتيشية من طهران. في مشهد كانت كتب التأييد بختم وتوقيع المسؤولين في الفرقة قد أعدت، ووجهت إلى آمرية معسكر مراوه تبه. وكانت كتب التأييد تعرف الرائد بير زاده كونه رئيس هيئة تفتيش الفرقة، قرب مراوه تبه استقل الرائد بيرزاده والنقيب نديمي والملازم أول قمصريان وضابطان آخران سيارة الجيب، واظهروا أنفسهم بعنوان الهيئة التفتيشية، ورافقهم بصفة حراس، حماية مؤلفة من خمسة من الجنود الذين كانوا معنا وبإمرة الملازم أول نجفي (ضابط انضباط)، وبهذا الشكل دخلوا معسكر مراوه تبه. وما أن وصلت اللجنة حتى اخذ الرائد بيرزاده يوجه الندق واللوم إلى آمر الثكنة الملازم أول فراخان، ويختلق ضده الحجج والأعاذير، ثم يأمر بيرزاده بتنحية آمر السرية وآمر الثكنة، ويطلب منهما التوجه إلى مقر الفوج للتعريف بأنفسهم، ويرسلهم بسيارة الجيب إلى بجنورد كنا في الطريق فألقينا القبض عليهم.

أبلغت اللجنة مأموري السرية الآخرين أن هيئة التفتيش القادمة من طهران هي على الطريق وعلى وشك الوصول، وهكذا تحرك اسكنداني مع عدد من الضباط باسم اللجنة تلك نحو مراوه تبه، وعند وصولهم احتج جنود المعسكر لديهم حول انتهاء خدمتهم المقررة فتظاهر رئيس اللجنة الرائد اسكنداني بالانزعاج وأمر الجنود بالتحرك فوراً نحو بجنورد، وبقي ضابط واحد أرسل هو الآخر باتجاهنا فقمنا بإلقاء القبض عليه أيضا.

قام رفاقنا في مراوه تبه بالاستيلاء على كل أسلحة المعسكر وحملها في الشاحنة، وهكذا استطعنا الحصول على كمية وافية من السلاح، والتي كانت تشمل على قطعتي رشاش برين خفيفة و130 قطعة سلاح و30 الف إطلاقة إضافة إلى ما جلبناه معنا من عتاد من مشهد.

أصبحت مسألة تقرير مصير الضباط الأسرى الثلاث مشكلة بالنسبة لنا، لم نكن ندرك ماذا نفعل بهم، أحد رفاقنا، حسين فاضلي، ارتأى أن نعدمهم رمياً بالرصاص قائلاً نحن مجموعة ثورية ويجب أن نتصرف بشكل ثوري، قال اسكنداني ليس من الضروري أن تكون اكثر الأعمال ثورية أكثرها عنفاً، بل يجب أن تكون أكثرها منطقية وتعقلاً، أخيرا تقرر إطلاق سراحهم في منطقة بعيدة وهكذا كان.

يوم السابع والعشرين من مرداد وصلنا ال(كنبد كاوس) فأعترض السوفييت سبيلنا، واخذ اسكنداني (يتحدث) معهم عن طريق قاموس فرنسي- روسي كان بصحبته واستطاع إقناعهم بالسماح

لنا بالمرور إلى كوركان حيث كان اسكندانى يريد الاتصال هناك بالسيد (احمد قاسمي) مسؤول اللجنة الإقليمية لحزب تودة، ويظهر أن كامبخش كان قد اطلع على الخطة في طهران، وانه قد أوصى دانش بالذهاب إلى كوركان، ووعد بالاتصال مع قاسمي والطلب منه تقديم المساعدة. عند الليل توقفنا عند غابة جوار الشارع على بعد كيلو مترين من مدينة كوركان، وفي الصباح توجه اسكندانى إليها وعند عودته بدأ منزعجاً وغاضباً وظهر أن قاسمي قد قال له:

-لقد أقدمتم على عمل من تلقاء أنفسكم ونحن في ظروف لا نتمكن فيه من القيام بحركة مسلحة، سيكون هذا العمل حجة في يد العدو للتعرض إلى تنظيمات الحزب ولن نقدم لكم بأي وجه أية مساعدة ومن أية نوع، وكان يبدو أيضا أن اسكندانى قد اتصل بالسوفييت كذلك، إلا انهم لم يرحبوا به وأشاروا عليه بالذهاب إلى نقطة كانت تقع بين (كونبد ومراوه تبه) والانتظار هناك ريثما يبلغون الأمر لمسئوليهم.

في كوركان التحق بنا ستة ضباط آخرين قدموا من طهران كانوا ضمن مجموعة أرادوا الفرار بشكل جماعي ولم يوفقوا، هؤلاء فقط قدموا إلى المنطقة الشمالية للانضمام إلينا. أحد هؤلاء الضباط كان العقيد آذر والآخرين هم: النقيب رصدي اعتمادي والملازم أول (عبدالحسين آكاهي)و (محمد بور هرمزان)و (بزيشكيان) و (وطن بور)، وهذا الأخير ذهب إلى الاتحاد السوفييتي، ولكنه هرب منه مرة أخرى إلى إيران واستسلم للسلطات.

هكذا اصبح عددنا (25) ضابطاً و(6) جنود.

قررنا العودة إلى نفس المكان الذي أوصى السوفييت بالالتجاء إليه، عند وصولنا إلى كونبد أوقفنا السوفييت مرة أخرى بحجة الاستيضاح عن امرنا من رؤسائهم، واستفدنا من الفرصة لشراء بعض المؤن والاحتياجات الأخرى وقررنا المضي باتجاه مقصدنا ليلاً، كما قرر اسكندانى الاتصال بالسيد (بهلكه) المسؤول الحزبي في كونبد لإقرار برنامج المرحلة المقبلة.

كان هناك مجموعة من الجندرمة في كونبد، وقد أفاد رفاقنا الذين دخلوا المدينة لشراء الاحتياجات أن الجندرمة يستعدون لمواجهتنا، **لكن اسكندانى كان مغروراً إلى حد انه لم يصدق أن يتجرأ الجندرمة على التعرض لنا ومواجهتنا**، وكان الجندرمة قد اتصلوا مع طهران وتلقوا الأوامر الحاسمة من اللواء الركن (ارفع) بالتصدي لنا بالإضافة إلى ذلك كانوا قد خصصوا مكافأة بعدة آلاف تومان مقابل رأس كل منا. كان آمر قوة جندرمة كونبد الملازم أول (حوسيني) قد جمع في المدينة كل الجندرمة والحراس في المنطقة واعدهم داخل مركز المدينة لاعتراضنا ومواجهتنا.

من جهة أخرى أقام آمر حرس الحدود هناك الرائد فيرازي اتصالاً مع اسكندانى بغية معالجة الأزمة بصورة سلمية، وقد توسط في المباحثات السيد بهلكة مسؤول الحزب في كونبد. اضطر هنا أن أورد موضوعاً آخر، فكما يلاحظ أن القرارات والأعمال جميعها كانت تنفذ عن طريق اسكندانى في حين كان يتوجب أن تناط المسؤولية بالعقيد آذر، الذي وصل مع الضباط القادمين من طهران، وذلك بسبب كونه كان مسؤولاً عن تنظيم الجيش.

لقد عالج اسكندانى هذا الأشكال بمهارة، فعندما كنا في كنبد ننتظر إجازة السوفييت للمرور منها، جمع اسكندانى جميع الرفاق وتحدث إليهم قائلا:

-هنا تنتهي مهمتي، وبمجيء الرفيق آذر يكون من واجبنا جميعاً الإصغاء إليه وإطاعة أوامره، ومع ذلك فمن الأفضل أن يكون ذلك عن طريق إجراء الانتخابات. وقد أجابه آذر بأنه يعتقد أن من الأفضل أن يستمر اسكندانى في قيادة الحركة حتى النهاية، بالنظر إلى انه هو الذي بدأ بها، وان الضباط المشاركين يفهمونه اكثر.

كيفما كان وبعد التعارف أجريت الانتخابات وفاز اسكندانى بقيادة الحركة بمجموع الأصوات. في الحقيقة كانت الانتخابات استعراضاً قام به اسكندانى لتثبيت موقعه في الحركة تجاه العقيد آذر.

يجب أن أتحدث عن شخصية اسكندانى، لقد كان إنسانا مؤثراً وجذاباً، وكان قد اصبح في الآونة الأخيرة محور وموضع احترام كل أمراء الفرقة. يجب أن أقول انه كان طموحاً، يعرف نفسه ومنظمتنا العسكرية ويوليها في باطنه أهمية اكبر من الحزب. ولم يكن يعرف نفسه بأي وجه منفصلاً عن الحزب لكنه يثق في نفسه إلى حد جر الحزب وراءه بعمل عنيف. كان يقول:

-الحرب سائرة إلى نهايتها، وعند ذلك يجلس الفاتحون المنتصرون لتوزيع الغنائم فيما بينهم وتقرير مصير العالم، ولان الوضع هادئ في بلادنا ولا صوت لنا يصل إليهم، سيقولون هناك ملك ومجلس ويعترفون بنفس هذه الحكومات القادمة. عليه يجب أن نسمعهم صوتنا من فوهة البندقية لإعادة النظر في تقرير مصير بلادنا.وكان يقول أيضا:

-بسبب أن حزب تودة، ليس بالجهة التي تستطيع حتى الآن من إثارة المسألة، عليه يكون من واجبنا رفع صوتنا عالياً وسيضطر الحزب إلى تأييدنا عند إحرازنا النصر.

كان اسكندانى ماركسياً ومحباً لوطنه إلى حد كبير، كان **شخصية وطنية قومية.** في تلك الأيام كان الكثير من أعضاء الحزب أو الشيوعيين يقرون بالتعامل مع السوفييت من معيار رفاق من الدرجة الأدنى. لكن اسكندانى لم يكن بهذه الصورة، انه كان يقول:

- صحيح إننا شيوعيون لكن يجب أن لا ننسى أبدا أننا إيرانيون، وصحيح أن أصدقاءنا السوفييت هم أيضا شيوعيون ورفاق لنا لكنهم ليسوا إيرانيين. حتى انهم يكنون الاحترام لأصدقائهم من الذين يحتفظون باستقلالهم الفكري اكثر من الذين يستسلمون لهم ويعهدون إليهم باتخاذ القرارات.

انه كان يدرك تماماً معاني الوطنية الثورية، فمثلاً لم يكن حينذاك من فرق لدى عضو شيوعي أن يناضل من خندق الشيوعية في إيران أو في نفس الخندق في إسبانيا أو فنلندة. لكننا فهمنا منه انه يوجد فرق، **فلكل إنسان وطن، ولكل وطن منافعه وخصوصياته ولكل إنسان في وطنه حقوق وواجبات.**

كان اسكندانى مفكراً واقعياً قبل أن يكون ماركسياً نظرياً، كان شجاعاً ومنظماً اكثر من كونه يمتلك ثقافة سياسية، وكان كما قلت طموحاً بعض الشيء وكان من الممكن أن يكون شخصاً مؤثراً جداً في المستقبل. كنا في تلك الأيام متأثرين باسكندانى وكنا نحبه ونقر له بالمسؤولية والزعامة.

أخيرا وفي الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم 29 مرداد 1324 تحركنا، وبصحبتنا كل التجهيزات والمعدات الضرورية، وعلى هيئة رتل من عدد من السيارات، واخذ اسكندانى موقعه إلى جانب الرفاق الآخرين في سيارة الجيب التي تصدرت مقدمة الرتل.

وهنا لابد أن أوضح أننا أثناء الطريق قد توزعنا على خمسة مجموعات أو فصائل، وكان لكل فصيل ضابط مسؤول، وكان اسكندانى مسؤولاً لإحدى الفصائل إضافة إلى كونه قائد الحركة، وكانت الفصائل تستقل سيارة الجيب في طليعة الرتل حسب جدول منظم. ولم يكن من واجب اسكندانى في ذلك اليوم أن يكون مع فصيلة في المقدمة، لكنه تصدر الرتل لإسكات كل صوت أو همس، وللتعبير عن شجاعته بسبب توارد المعلومات حول استعدادات الشرطة والجندرمة داخل المدينة للتصدي للقافلة.

كانت قوات الشرطة والجندرمة قد أخذت مواقعها داخل بناية المركز المطلة على الشارع، ونصبت عليها رشاشات البرين. وما أن اقتربت سيارة الجيب التي تقل اسكنداني ورفاقه وعلى إثرها السيارة الأخرى من المركز حتى انهالت عليها النيران فجأة وبكل غزارة من فوهة اثنتين من رشاشات البرين وحوالي مائة وعشرين بندقية.

كنت في السيارة الثانية التي تتبع سيارة اسكنداني ولاحظت ترنح الجيب مباشرة، ثم اختفت وسط الدخان والنار. **وقعت الحادثة كلها في ظرف لحظة واحدة واستشهد ركاب الجيب دون أن يستطيعوا إبداء أية مقاومة. استشهد في نفس اللحظة كل من: الرائد اسكنداني والملازم أول نجدي والملازم أول شابازي والملازم أول نجفي والملازم مينائي والجنديين المكلفين موسى رفيعي وبهلول.**

استشهد هؤلاء الأبطال أحدهم جنب الآخر واحترقوا في لهيب حركة بطلة ولكن من غير مناسبة.

سمعنا بعد ذلك أن الجثث تلاشت كلياً حيث قد بقيت داخل السيارة وسط الشارع وكانت هناك بعض المعاطف الصوفية في سيارة الجيب، وكلما تحرك الهواء تحركت معها ألياف الصوف فيطلق الجندرمة النار عليها ذعراً حتى صباح اليوم التالي.

توقفت السيارات مباشرة بعد إطلاق النار، وترجلنا منها مقابل المركز وأخذنا مواقعنا في الشارع وفي ظل المباني، وقد جرح شخص واحد من ركاب سيارتنا (الملازم أول احساني) الذي كان يقود السيارة وقد أصيب عند ترجله، كما أصيب بجراح شخص من السيارة التي كانت تتبعها وهو الملازم أول رحيم شريفي وبنفس الصورة التي جرح بها الأول. اخذ الرفاق الآخرون مواقعهم واستطاع أحد الرفاق الوصول إلى السيارة ومقاومة الجندرمة برشاشة البرين من تحت بدن السيارة.

بعد الخسائر الأولية لم يصب أحد آخر من رفاقنا، بل تمكنا من إصابة أربعة أفراد من الجندرمة الذين كانوا يقاتلوننا من نوافذ المركز، وطالت مقاومتنا لفترة وتولى العقيد آذر المسؤولية، وقد لاحظت في وقت ما أن آذر يقف وسط الشارع ويطلب منا تتبعه بإشارة من يده. كنا نظن انه يريد مهاجمة المركز من الناحية الخلفية، فتمكنت مع بعض الرفاق وفي فرصة مناسبة عبور الشارع والالتحاق بالعقيد آذر. وظل قسم من الرفاق يقاوم الجندرمة حتى منتصف الليل، وأوصل البعض منهم نفسه إلى السيارة فأنقذوا بعض التجهيزات الضرورية ومقداراً من النقود. لاقت كل مجموعة مصيراً مختلفاً عن الأخرى، وقد انضم إلينا فيما بعد عدد هؤلاء الرفاق.

كان أحد الجرحى على رصيف الشارع شقيقي الجندي مسعود تفرشيان والآخر النقيب بهرام دانش وحملهم بعض الرفاق على ظهورهم وأوصلوهم إلى معسكر السوفييت، لكنهم رفضوا استلامهم، فاضطروا إخفاءهم خارج المدينة حيث ألقى الجندرمة القبض عليهم في اليوم التالي وأرسلوهم إلى طهران، كما ألقت الجندرمة وفي أماكن أخرى القبض على كل من الملازم أول حسين فاضلي والملازم علي ثونائي والجنود علي أكبر وثوق وشاهين واودعوا المعتقل في طهران أيضا.

بهذه الصورة وبعد خمسة أيام من قيادة هذه الحركة البطلة في خراسان، غرقت في دماء شهدائها في كنبد.

حينما تعقبنا آذر كان تفكيرنا منصباً على أيجاد طريقة مناسبة للرد بشكل ملائم على الهزيمة التي لحقت بنا، والهجوم على مركز البوليس، ولكن كلما ابتعدنا من مسرح المعركة كلما بدت آثار الهزيمة اكثر وضوحاً وتأثيراً، وكلما هبطت معنوياتنا أيضا، كانت الضربة التي تلقيناها في كونبد قد أفقدتنا التوازن.

اختفينا على بعد 2كم خارج المدينة وراء إحدى التلال، وكنا نظن في حساباتنا أننا قد نصبنا كميناً، في الحقيقة كانت فكرة تافهة انتبهنا لها، فلم يكن هناك أحد يتعقبنا، كما لم يكن ممكناً أن نشن هجوماً من هناك. كنا هناك في ذلك الموقع حين قال آذر.

-ماذا نفعل هنا ؟ هيا لنتحرك، الذين قتلوا والجرحى سيتم القبض عليهم علي الأغلب، يجب علينا بالدرجة الأولى الوصول إلى مكان نستطيع فيه، بهذا العدد المحدد، المقاومة للدفاع عن أنفسنا وهكذا كان.

كان الرائد (شفائي) المسؤول المالي للحركة يحمل معه بعض النقود، فأوضح أن من المستحسن أن يوزع المبلغ لأنه يحتمل أن نتفرق اضطرارا ويذهب كل واحد إلى جهة، فأستلم كل واحد منا مبلغ ستمائة تومان.

تحركنا بحالة بائسة ومعنويات منهارة تماماً، كان الشخص الوحيد الذي احتفظ بمعنوياته هو آذر نفسه. بأية حال أوصلنا أنفسنا إلى (شابسند) وكان فيها مخفر شرطة، اقترح آذر استطلاع النقطة وتجريد المخفر من السلاح إذا كان عدد الشرطة قليلاً، ولان الاقتراح لم يكن قد وصل إلى مرحلة التنفيذ لم يعارض الاقتراح أي واحد منا. وقام آذر بنفسه باستطلاع النقطة وتبين له انه لا يوجد سوى شرطي واحد يقوم بالحراسة، وآخر راقد داخل المخفر، فأعاد طلبه لكننا جميعاً رفضناه وابتعدنا من نقطة الشرطة.

كانت الساعة بحدود الثانية عشر ليلاً حين دخلنا غابة في نقطة قريبة من (شابسند) وأقمنا الحراسة حتى الساعة الخامسة صباحاً.

كان آذر مساحاً ماهراً، وكذلك يملك خبرة جيدة في التعرف على الخيول، وسبق له أن جاء إلى (توركمن صحرا) عدة مرات لشراء الخيول للجيش، وتعرف على هذه المناطق من اجل تحديد مسار الطريق الواجب اتباعه، صعد آذر أعالي إحدى الأشجار وحدد الطريق وطلب منا التحرك، هنا التفت نحونا الملازم أول بور هرمزان قائلاً:

-تريدون الذهاب إلى أين ؟ ماذا بإمكاننا أن نفعل بهذه البنادق الاثنتي عشرة، نحن في خطر أكيد إذا مضينا سوية، يجب أن نتفرق، هذه البنادق ستقتلنا، ها أنا قد ذهبت. قال ذلك ورمى بندقيته، ونزع ثوبه العسكري وقطع ساق يوستالته. ثم قال:

-أنا ذاهب للاتصال بالحزب، في أمان الله. واتخذ سبيله، كانت لأقوال وتصرفات بور هرمزان تأثير سلبي آخر على معنوياتنا وحالتنا.

كنا نخشى الوحدة والانفراد لذلك تتبعنا آذر ودخلنا في غابة كثيفة وكبيرة احتضنتنا وشعرنا بشيء من الأمان داخلها.

قضينا في هذه الغابة قرب شابسند حوالي (10) أيام، صادفنا فيها شيخاً كان يقوم بتوريد الطعام إلينا، كما أن آذر كلف هذا الشيخ بأعمال أخرى فقد أرسله آمره إلى كونبد للحصول على معلومات حول رفاقنا القتلى والجرحى وأوضاع المدينة.

في نفس الوقت ذهب آذر ذات مرة إلى معسكر السوفييت إلا أنهم قالوا له: إننا لا نملك المعلومات عنكم ولا نعرفكم وينبغي الاستفسار من مراجعنا.

ذات مرة أردنا الوصول إلى مدينة كوركان عن طريق الغابة، لكن وبعد جهد بذلناه ليوم كامل وجدنا أننا قد ضعنا داخل الغابة .

أخيرا أوصى آذر الشيخ ذاته-والذي لم نتعرف على اسمه أبدا. أن يجلب لنا ملابس التركمان لكي نستطيع الخروج من الأحراش.

في إحدى الليالي قام آذر بإخفاء بنادقنا في مكان سبق له أن تعرف عليه، وكان الشيخ ورفيق له قد جلبوا لنا الملابس التركمانية. وقام الشيخ نفسه بمرافقتنا حتى الشارع فودعناه وذهب إلى سبيله، اعتقد انه إلى الآن يكون قد فارق الحياة، رحمه الله.

توركمن صحرا أرض مستوية مثل راحة اليد، من العسير جداً التعرف على مسالكها. لقد مضينا فيها لمدة نصف يوم واكتشفنا أننا قد عدنا إلى نفس النقطة التي انطلقنا منها، عند هذا الحد ثارت ثائرة النقيب (بزشكيان) فصب جام غضبه على آذر وتفوه تجاهه بكلمات بذيئة قائلاً له:

-ما هذا العمل؟ جئت ببعض الضباط تلف بهم الصحراء مثل الزلابيا.

كان المسكين لا يزال يظن نفسه ضابطاً، لم يرد عليه آذر وامسك أعصابه هادئاً كان يحاول أن يعمل شيئاً مفيداً رغم أن النقاشات كانت تنتهي دائماً بالطعن فيه والقول له، إن كل ما قلتم كان كذباً. آخر مرة نفذ صبر الرائد شيفائي فصرخ:

-اسكتوا. ما ذنب المساكين ماركس وانكلز إن كنا لا نفهم نظرياتهم أو نخطأ في تنفيذها؟

قبيل الظهر حاصرتنا مجموعة من أربعة أشخاص كانوا يتحدثون بالتركمانية واتهمونا بالسرقة وقطع الطريق. إن الأخبار تنتشر في (توركمن صحرا) أسرع من البرق، وكان خبر مجيء عدد من الأغراب إلى الصحراء قد انتشر في كل مكان. آذر كان يعرف اللغة التركمانية فعرفهم بهوياتنا وهددهم أن السوفييت سيلعنون آبائهم إن نقصت شعرة من رأس أي أحد منا. وكان آذر يعرف طبيعتهم فوعدهم أن يعطي لهم مسدسين إن أوصلونا إلى كوركان.

كيفما كان جلبوا لنا بعض الطعام وقاموا بإخفائنا، ثم ذهبوا بعد أن وعدوا بأن يأتوا في المساء لنقلنا إلى مكان آمن. صعد آذر أعالي شجرة لمراقبة المكان وقمنا بالاستراحة والرقود لعدة ساعات.

عند العصر ورد التركمان وجلبوا معهم أربعة خيول وانقلونا في الليل إلى إحدى القرى، بعد أن استلموا المسدسات ذهبوا إلى سبيلهم.

في القرية وبعد أن تناولنا العشاء، طلبوا منا خمسين تومانا عن كل واحد مقابل إيصالنا إلى كوركان، لكنهم انقلونا إلى قرية أخرى مثل رفاقهم واستلموا المبالغ التي طلبوها.

في القرية الجديدة وجد آذر صديقاً له فتفرق عنا، بقينا ستة أشخاص وقد طلب أهالي هذه القرية الأموال وأرادوا إعادة حكاية من سبقهم، لكننا لم نرضخ هذه المرة لطلباتهم، ووجدنا شاباً، وافق أن يدلنا على طريق كوركان، مقابل مبلغ مائتي تومان، ووصلنا الشارع في اليوم التالي بعد ساعة ونصف من منتصف الليل. هنا أيضا ثارت أعصاب الرائد بيرزاده فتفرق عنا بصحبة الرائد شيفائي بعد أن وجه سيلاً من الشتائم والسباب إلى آذر واسكندانى، كانوا قد اتفقوا على الافتراق عنا حيث كان الرائد شيفائي آمر معسكر في (سوزوار) وكان له معارف وأصدقاء في هذه النواحي فأرادوا الذهاب إلى سوزوار للاتصال بالحزب والاختفاء هناك، وهذا ما حصل فعلاً، وقد انضموا إلينا في وقت لاحق .

النقيب بزيشكيان أيضا أنحى برأسه قائلاً:

-أنا أيضا ذاهب.

من جهته قال الملازم أول رئيس دانا!

-إذا تفرقنا تكون مشاكلنا أهون. وودعنا سائراً إلى جهة أخرى. بقيت أنا والملازم أول (كيهان) فقررنا الوصول إلى كوركان عن طريق ركوب إحدى السيارات، لكن أحدا من السواق وبسبب ثيابنا الرثة ومظهرنا الذي يدل على الفقر لم يكلف نفسه عناء الضغط على مكابح سيارته. اضطررنا الرحيل باتجاه كوركان سيراً على الأقدام وصادفنا في الطريق بعض الجنود السوفييت كانوا يحملون عربات تجرها الخيول بأخشاب من الغابة إلى كوركان، وكنت اعرف بعض الكلمات الروسية فاستطعت التفاهم مع أحد الجنود وإقناعه بإيصالنا بعربته إلى كوركان مقابل عشرين ريالاً لكل واحد منا.

وصلنا إلى كوركان في حوالي الساعة الخامسة بعد الظهر، وكان الوقت يصادف شهر رمضان ولم نستطيع بتلك الحالة البائسة العثور على مقر حزب تودة فقررنا البقاء ليلاً في إحدى المساجد.

كان قد ظل على موعد الفطور حوالي ساعة من الزمن، فدخلنا إحدى المقاهي، التي كانت مفتوحة على النصف، لتناول شيء ما وقررنا أن نعرف أنفسنا كرعاة أغنام أو أبقار جاءوا للبحث عن عمل في المدينة، وكنت أتكلم لهجة أهالي (نيشابور) واستطعت تمثيل هذا الدور بشكل جيد، فحين دخلنا المقهى افترشنا الأرض بدل الجلوس على الكراسي وعلى عادة أهالي الريف، وانشغلنا بتناول الخبز والجبن والشاي، حينذاك دخل المقهى اثنان من أفراد الجندرمة المفطرين وحالما وقعت أنظارنا عليهما تملكنا رعب حقيقي، مع ذلك لم نضطرب وقلنا في إجابتنا على سؤال صاحب المقهى:

-إننا رعاة جئنا إلى هذه الناحية للبحث عن عمل.

قال أحد الجندرمة:

-يا للفرحة: أين يوجد العمل؟ الأهالي هنا أنفسهم عاطلون لا عمل لهم، انهم يجلسون لأربع وعشرين ساعة في ظل الحيطان يدخنون التريالك.

اعتقدنا أن الجندرمة تعرفوا علينا، ويريدون إغفالنا لإلقاء القبض علينا في فرصة مناسبة، لذلك انكمشنا إلى بعضنا.

خرجنا من المقهى ونحن نفكر فيما عسى أن نفعله، فتذكر كيهان أن له ابنة خال في كوركان وأنها متزوجة من شخص يدعى (عرب) وان عرب هذا بقال في سوق المدينة. بأية حال عثرنا على الدكان ودفعنا بأنفسنا داخله، اعترض السيد حاجي على دخولنا، وظهر انه قدم نحونا لإخراجنا من محله، عندها نطق كيهان اسمه فأستغرب الرجل وتفحص هيئة كيهان من قمة رأسه حتى اخمص قدميه ثم قال مستفسراً:

-ألا تكون السيد مهدي ؟! إن لم اكن واهماً أنتم أيضا من أولئك الضباط، لكن لماذا؟ لماذا أوصلتم بأنفسكم إلى هذا اليوم؟! مهما كان احضر لنا الرجل، بعد الاستفسار عن الحال والأحوال، بعض الملابس وأخذنا إلى بيته لقضاء الليل، فقد كنا قد حملناه أنفسنا، لكن ابنة الخال سرت كثيراً جداً بلقاء ابن عمتها السيد (مهدي) وأرادت أن تعد لنا عشاءاً فاخراً ولهذا السبب جعلتنا نسهر حتى منتصف الليل، ورغم أن كلينا كان بأمس الحاجة إلى النوم، إلا أن ابنة الخال أبت أن نخلي إلى الفراش قبل تناول العشاء، وإعداد عشاء بمثل ما ترغب فيه، لم يكن من الميسور تهيئته بهذه السرعة. أثناء هذه الفترة كان السيد حاجي وشقيقه ورغم إحساسهم بالخطر من إخفاء ضابطين هاربين، كانا يحاصراننا بالأسئلة ويرغبان أن يفهما خيوط عملنا (الجنوني) في حركة ضباط خراسان. ولم يكن بمقدورنا التحدث لما كنا نشعر به من تعب وإرهاق وقد عرضنا لعدة مرات السماح لنا بالرقود، لكن تلك

السيدة المحترمة أبت إلا أن تكرم ابن عمتها بعشاء يليق بالمناسبة. أخيرا بسطت المائدة كما ينبغي وعليها أصناف من الطعام، لا اذكر ماذا تناولت لكني أتذكر انه وبعد العشاء هالني ما رأيت من أفرشة ناصعة البياض ونظيفة تمددت عليها ولم استيقظ حتى الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم التالي، وتنبهت أن الفطور والغذاء لا تزال مبسوطة في الغرفة.

في اليوم التالي اعتذر صاحب البيت بأدب وحياء وكان محقاً في ذلك فإخفاء اثنين من الهاربين أمر في غاية الخطورة. كانت عائلة محترمة وفاضلة وكريمة، بعد سنوات عندما تسنى لي الذهاب إلى كوركان لمشاهدة أحد أقربائي حاولت اقتفاء آثار ذكرياتي في المدينة والمقهى والمسجد، لكن كانت قد مضت سنوات طويلة لم اعثر على أي من أفراد تلك العائلة الكريمة، ولم اعرف عنواناً لها، طاب ذكراهم إن كانوا لما يزل يعيشون حتى الآن ورحمهم الله إن كانوا فارقوا الحياة. في اليوم التالي ركبنا السيارة إلى (بندر شاه) على اعتبار أننا طلبة كلية الحقوق ونريد قضاء عطلة الصيف على ساحل البحر، وهناك في بندر شاه عثرنا بسهولة على المهندس (داخته) مسؤول الحزب، فأخفانا في منزل أحد العمال كان يعيش فيه مع والدته. وبعد ثلاثة أو أربعة أيام انقلنا السوفييت بسيارة إلى منطقة آمنة في الصحراء التركمانية (توركمن صحرا).

كان هناك عدد من الضباط يتعرضون إلى المضايقة في طهران بعد حركة ضباط خراسان، وقد هرب البعض منهم والتحقوا بنا، واضطر الحزب إلى إيجاد مكان آمن لنا ولهؤلاء الضباط الذين هربوا من طهران، واختار الحزب لهذا الغاية قرية (سفيان) التي تقع بين كنبد ومراوه تبه، وكانت قرية معزولة بين الجيش الإيراني والسوفييتي، وقد جمع الحزب كل الضباط فيها. قبل أن يتم نقلنا إلى قرية سفيان أخذتنا سيارة سوفييتية إلى معسكر السوفييت في كوبند، والتقينا هناك بضباط سوفييتي برتبة رائد عاتبنا على ما أقدمنا عليه من عمل غير ناضج. في المعسكر ألبسونا بدلات الجنود السوفييت، ووجدنا هناك حوالي (10 إلى 15) ضابطاً من رفاقنا كانوا قد وصلوا إليه قبلنا، وازداد العدد شيئاً فشيئاً حتى بلغ (40) شخصاً، وكان آذر قد وصل أيضا قبل مجيئنا إلى المعسكر.

بعد فترة طلبوا منا نزع بدلات الجيش الأحمر، وارتداء ملابسنا وقاموا بنقلنا ليلاً إلى قرية سفيان بسيارة من نوع (زيس) كانت تنقل العلف، ويقودها جندي من الجيش الأحمر وبدلالة أحد التركمان، وعند قرية سفيان قال لنا السوفييت:

-لقد أوصلناكم إلى هذا المكان، ومن الآن ليست لنا أية علاقة بكم، معكم سلاحكم وبإمكانكم المحافظة على أنفسكم. الجدير بالإشارة إن آذر قد جلب معه الأسلحة التي كنا قد أخفيناها في الغابة كما كان كل منا يحمل مسدسه الشخصي. اجتمعنا هناك وشكلنا لجنة بأسم (لجنة الجيش الوطني) برئاسة العقيد آذر وعضوية عدد من الضباط كنت أحدهم.

أقمنا معسكراً صغيراً في سفيان ولم يكن لنا حق القيام بأي نشاط عدا الدفاع عن أنفسنا وهذا ما ابلغنا به (احمد قاسمي) مسؤول منظمة الحزب في كوركان الذي وصل إلى سفيان في اليوم التالي لإقامتنا فيها، وطلب منا الانتظار للأوامر القادمة، وأجاز لنا فقط نزع سلاح مخفر يقع قريباً من القرية، وعلى أن يتم ذلك دون إراقة دماء.

كان آمر المخفر نائب ضابط يدعى (كياني) وكان قد خدم في وقت سابق تحت إمرة رفيقنا النقيب (رزم آور)، وبعد أن نحدث إليه هذا الرفيق طلب كياني من جندرمته مغادرة المخفر وانضم هو إلينا.

بهذه الصورة استقر بنا المقام في سفيان عند النصف الثاني من شهر شهريور عام 1324. وفي نفس الفترة تأسس الحزب الديمقراطي الاذربيجاني ووصل أول بيان من الحزب إلينا هناك يوم 30 شهريور عام 1324، بعثه احمد قاسمي، وكانت الهيئة المؤسسة للحزب قد طرحت في البيان آراءها

وتوجهاتها. بقينا هناك حوالي (25) يوماً، وذات ليلة طلب إلينا التجمع والاستعداد للرحيل، فتحركنا في منتصف الليل وسرنا ثلاثة أو أربعة كيلومترات مشياً على الأقدام وعلى ضوء المصابيح اليدوية.

تجمعنا في نقطة في (توركمان صحراء) قرب أحمال من العلف الذي كان السوفييت قد أعدوه لخيولهم، والتقينا هناك بضابط سوفييتي برتبة رائد كان مسؤولاً عن تلك الناحية وتحدث إلينا باللغة الفارسية. عاتبنا على ما أقدامنا عليه من خطوة غير مدروسة، وأوضح أننا بفرارنا من الجيش فقدنا أهم المواقع، ولم نستطع أن نحقق أي شيء بالمقابل. ثم اخبرنا أن الجيش قد أرسل برتل عسكري عن طريق (فيروز كوه) لتعقبنا وإلقاء القبض علينا وقال:

-بما أن حياتكم في خطر، يتوجب علينا نقلكم إلى مكان اكثر أمنا. مرة أخرى غيرنا ملابسنا وأصبحنا جنوداً في الجيش الأحمر، ركبنا السيارات ووصلنا ليلاً جوار قلعة على الطريق، وبعد غروب الشمس سلكنا الطريق مجدداً وعبرنا الحدود من جهة (استارا) إلى الجانب الآخر داخل الأراضي السوفييتية.

بهذه الصورة استقرنا عند أواخر شهر شهريور في قرية باسم (شاه اولان) قرب باكو وبشكل شبه معتقلين. قضينا هناك ثلاثة اشهر، هي مهر وابان وآذر.

في الحقيقة اعتقلنا هناك بشكل محترم، فقد وضعوا تحت تصرفنا بناية ضخمة تشتمل على عدد من غرف النوم، وكنا أحرارا داخل محيطها، ويجري التعامل معنا بصورة جيدة، لكن لم يكن يسمح لنا بالخروج من محيط البناية، وبعد اعتراضنا لأكثر من مرة سمح لنا بالتجول على ساحل بحر الخزر وحتى قرب آبار النفط وبمرافقة الحراس.

مثل أي مكان مغلق آخر حين يودع فيه عدد من الناس من غير عمل أو واجب وبعد سلسلة حوادث يتعرض أحدهم للآخر ويصب نار غضبه عليه هنا أيضا الأمر ذاته.

في البداية بدأت أمواج العداء ترتفع ضد آذر الذي اعتبر مسؤولاً عن الحركة، عديمة الجدوى، ثم ظهرت التكتلات وتطورت المناقشات وتضاعفت الاتهامات إلى توجيه الشتائم والسباب، وإلى حد أن تدخل ذات يوم رئيس المعتقل أو المضيف (لك أن تسميه كيفما شئت) والذي كان برتبة رائد فأجمعنا وقال:

-انتم ضيوفنا ومصالحكم تقتضي أن نحتفظ بكم هنا لفترة من الوقت كأصدقاء. لا تدعونا نضطر إلى الالتجاء إلى القوة لفرض النظام العسكري. وضرب مثالاً قائلاً: لا تجبروا الطائرة على الهبوط الاضطراري، وتمنى أن يعامل الجميع أحدهم الآخر معاملة حسنة.

الفصل الثاني

الحزب الديمقراطي الاذربيجاني ـــــ

وسط هذه المناقشات الحادة. بما فيها من تآلف وتنافر، ورد خبر اندلاع الانتفاضة في آذربيجان. هذا الخبر الذي أورده إلينا الرائد المسؤول عن المبنى الذي نقيم فيه عندما دعانا إلى اجتماع قال فيه بلهجة تنم عن الحب:

-لقد انتفض شعب إيران، بدأت طلائع الانتفاضة في آذربيجان وحين ينتفض شعب ما لن تستطيع أية قوة التصدي له، والناس الذين انتفضوا في حاجة إلى جيش، أتمنى أن أراكم قريباً على رأس قيادة الجيش الشعبي الاذربيجاني، وإني مطمئن انه لا يوجد من هو افضل منكم لتولي مسؤولية قيادة وإدارة جيش آذربيجان. انتم الذين يجب أن يكونوا النواة الحقيقية الرئيسية لتشكيل هذا الجيش.

الرغبة في العودة إلى إيران ومشاركة الشعب في الانتفاضة وضعت حداً لكل جدال وصراع، واصبح الجميع ينتظر العودة إلى إيران بترقب وشوق وفارغ صبر.

الفترة التي نتحدث عنها تسبق يوم 21 آذار، حيث لم تكن الانتفاضة في آذربيجان قد حققت الانتصار بعد. كان الوقت يصادف أواخر شهر ابان، وكانت مقدمات الانتفاضة قد ظهرت وقتها.

قام السوفييت وباستشارة آذر بتوزيعنا على عدد من المجموعات في مقدمة هذه المجموعات تحرك آذر نفسه عائداً إلى إيران، وبرفقته ضباط كلهم يتحدثون اللغة الأذربيجانية وتم اختيارهم لقيادة وتنظيم الفدائيين.

ضمت المجموعة الثانية (22) ضابطاً كنت أحدهم، وكان واجبنا تشكيل الخلايا الأولى لجيش أذربيجان، وقد وصلنا إلى أذربيجان يوم العاشر من شهر دي، أي بعد انتصار الانتفاضة.

أعد لنا في تبريز دار للإقامة فيها وقد استقبلنا هناك عند العودة العقيد اذر الذي كان قد اصبح رئيس أركان جيش أذربيجان.

في اليوم الثاني من وصولنا إلى تبريز اخترنا تصميماً بمواصفات خاصة للبدلة العسكرية لجنود وضباط جيش أذربيجان، وتم إعدادها بعد ثمانية أو عشرة أيام وارتدينا لأول مرة البدلة العسكرية النظامية لجيش آذربيجان كانت قيادة آذربيجان قد تأسست تحت إمرة آذر، وبصورة عامة تشكل الجيش من حيث عدد أفراد وأنواع صنوفه وفق رؤية الحزب الديمقراطي، لكننا قمنا بتنظيمه.

تولى الرائد شفائي رئاسة إدارة التجنيد، وبدأت عملية تجنيد الأفراد، واستفدنا، في إقامة الثكنات وإدارات الجيش، من المباني التي هرب أصحابها منها.

أنا من ناحيتي، وضعوا تحت إمرتي (750)جندياً، ألبستهم البدلة العسكرية وأسكنتهم في إحدى هذه الدور العائدة للاغوات. كانت محاولاتنا ترمي إلى تدريب وإعداد أقسام الجيش للمشاركة في الاستعراض الذي كان مقرراً أن يجري في عيد نوروز بداية عام 1325 في ميدان تبريز برعاية بيشوري. وقد هيأت جنودي وشاركوا الاستعراض بصحبة مدافعهم في اليوم المقرر. ويجب أن نذكر، بأننا مدينون إلى السوفييت ومساعدتهم في تمكننا من إعداد جيش منظم والزج به في ساحة الاستعراض خلال شهرين ونصف، فقد قدم السوفييت عوناً مؤثراً في مجال التنظيم والتعليم والتدريب.

في الوحدة التي كنت آمرها، قام الجنود السوفييت في اليوم الأول بإطلاق بعض قذائف المدفعية ومن ثم تدرب على الرمي جنودنا. أما في مجال التجهيزات، فكان المسؤول عن المسيرة ضابط برتبة عقيد، وكانت له صلاحيات كاملة لصرف السلاح والعتاد والمعدات الأخرى.

ما عدا آذر الذي لم يكن معه مستشار سوفييتي، كان لكل صنوف الجيش مستشارون من الضباط والعرفاء الأذربيجانيين لجمهورية آذربيجان السوفييتية، وكانوا يرتدون مثلنا البدلات النظامية لجيش آذربيجان، في الوحدة التي كانت بإمرتي (فوج المدفعية المستقلة) أو حسب تسمية الأذربيجانيين (بريكاد توب طابوري)كان هناك ضابط سوفييتي برتبة ملازم ثالث وسبعة أو ثمانية عرفاء يعملون معنا.

وكان السوفييت قد زودونا ب(56) مدفعاً من عيار 75 ملم ضد الدروع و(120) مدفعاً عيار 105 ملم لمقاومة الطائرات، ومقدار كبير من قذائف المدفعية وعتاد البنادق، وكانت اغلب هذه الأسلحة ألمانية الصنع ومن تلك التي استولى عليها الجيش الأحمر كغنائم في جبهات القتال، وكان ينبغي التدريب عليها وعلى حد معلوماتي واطلاعي على الأمور لم يكن الضباط والعرفاء السوفييت يتدخلون في شؤون قيادة الجيش، كانت مواقفهم مبنية على الاحترام ويحاولون بجهد تثبيت وترسيخ سلطاتنا، لم يكن يتدخلون في أي عمل يخل أو ينقص من سلطاتنا ومسئوليتنا عن الجيش، وكمثال على ذلك صادف أن قدم أحد العرفاء العرض ذات يوم بوجودي إلى الضابط المستشار في وحدتي ومع إني كنت برتبة نقيب، وكان هو اقدم مني في الرتبة إلا انه وبخ العريف قائلاً له: عليك أن تخجل من تقديم العرض لي بوجود الآمر. كانوا يحاولون إفهامنا انهم جاءوا فقط لمساعدتنا، وانهم عائدون إلى وطنهم حالما يستطيع جيشنا الوقوف على قدميه. كنا في الحقيقة أصحاب الأمر في الوحدات التي هي بإمرتنا.

كانت القوات الأذربيجانية المسلحة على عدة أشكال، كما كان الضباط أيضا على عدد من الأشكال، فكان هناك البعض من أعضاء الحزب الديمقراطي ومسئولي النقابات للعمال والفلاحين، وعدد آخر من المناضلين الذين اشتركوا في الانتفاضة، حملوا رتب الضباط التي منحوها هم لأنفسهم في البداية، ومن ثم صادق عليها الحزب. ولم يكن هؤلاء قد تلقوا تدريباً في الجيش وكانوا يسمون (الضباط الفدائيين). عدد آخر من مسئولي الحزب كانوا يحملون رتب الضباط ويخدمون في الجيش بعنوان مرشد سياسي أو مسؤول إداري، وكان الحزب قد منحهم رتباً عسكرية.

قسم آخر كانوا من الضباط الذين تخرجوا من الكلية التي أقيمت مؤخراً في آذربيجان بعد الانتفاضة، حيث استحدث كلية عسكرية وتخرج منها عدد من التلاميذ بعد شهر واحد، ومنحوا رتبة ملازم ثاني أو ثالث.

كنا أيضا، نحن الضباط الفعلين الذين هربوا من الجيش الإيراني ونخدم جيش أذربيجان، نشكل مجموعة أخرى. يبلغ عدد أفرادها حوالي (70) ضابطاً. بهذا الشكل كانت أربعة مجموعات من الضباط في جيش آذربيجان وكانت أعمالهم متداخلة، فالضباط الفدائيون لم يكونوا يعترفون بأحد، وكانوا يقولون انهم أقاموا الحكومة بقوة سلاحهم، وانهم استحصلوا على رتبهم ومراكزهم وسط الثورة والدم ويتقدمون على غيرهم.

من جانبنا نحن كنا نرى أنفسنا اكثر كفاءة لقيادة وإدارة الجيش من غيرنا لأننا متدربون ومتعلمون.

هذه الظروف كانت تؤثر في الضبط العسكري والتقاليد العسكرية. كان الحزب قد قرر ترقية الضباط الفرس (كانوا يطلقون علينا فارس افسرلر) رتبة واحدة أعلى من رتبهم العسكرية في الجيش الإيراني، وهذا الموضوع أيضا شكل تعقيداً آخر بين الضباط، ذلك لان ضباط الجيش الإيراني

أنفسهم لم يكن وضعهم موحداً. فمنهم من شارك في حركة خراسان ومنهم من هرب مباشرةً من طهران والتحق بجيش آذربيجان، وكان هناك قسم ثالث، وهم الضباط الذين كانوا يخدمون الجيش في مناطق آذربيجان والتحقوا بجيش آذربيجان بعد استسلام معسكراتهم، ومنهم كذلك بعض الذين لم تكن لهم سابقة سياسية، وإنما ظلوا في آذربيجان بسبب علاقاتهم الشخصية أو نحو ذلك، وحتى كان هناك من يشتبه في أمره وكان من الضروري معالجة هذه الحالات جميعاً. أخيرا تم استدعاؤنا جميعاً ذات يوم إلى نادي الضباط الذي عقد فيه مؤتمر حضره بيشوري وبيريا وكاويان وزير الحرب. افتتح الاجتماع بكلمة ألقاها بيشوري واقترح معالجة القضية بروح ديمقراطية وحسبما يراه الضباط أنفسهم، لكن المناقشات تحولت إلى صخب وصراخ وانتهى الاجتماع بشتم بيشوري لأحد الضباط.

في ذلك الوقت، ولأسباب ناجمة عن الجهل أو سوء النية، كانت تروج دعايات وشائعات خاطئة ضد (فارس افسرلر، الضباط الفرس) وقد وصل الأمر حد إطلاق النار على رفاقنا، فقتل الرائد (صفوت) آمر الكلية العسكرية حينذاك في مكتبه، وأطلق النار على الرائد (خلعتبري) آمر فوج المدفعية وهو جالس وراء مكتب عمله، ومن حسن حظه انه أصيب بجرح طفيف.

في مثل هذه الأجواء جاء عقد الاجتماع الذي اختتمه الضباط الفدائيون بالوعيد والتهديد.

في الأخير اقترح العقيد (بناهيان) الذي حل محل آذر في رئاسة أركان الجيش معالجة وضع الضباط، بتأليف لجنة مشتركة من عدد من الضباط وعدد من أعضاء اللجنة المركزية للحزب، وتم تشكيل اللجنة، وباشرت بإصدار عدد من القرارات لكن دون أن تتوفر ظروف تنفيذ أي قرار منها. لقد أشرت أن (بناهيان) اصبح رئيس أركان جيش آذربيجان بدل آذر، فقد أزيح عن عمله في شهر اورديبهشت من عام 1325، وأرسل إلى الجهة الأخرى من الحدود بدعوى الاستراحة.

كان آذر في خصام مع بيشوري بسبب تأييده تزعم الحزب لقيادة الجيش، وقد أرسله السوفييت بناءاً على مشورة بيشوري إلى باكو للإقامة هناك، ومكث فيها لعدة اشهر لقي خلالها احتراماً جديراً به، وحينما غادر الجيش السوفييتي آذربيجان أعيد آذر بمنتهى الاحترام والتقدير، رحب به بيشوري واعتذر له عما سبق من التصرف معه، وأرسل في البداية إلى أورمية من ثم إلى اردبيل.

عندما شن الجيش الإيراني الهجوم على آذربيجان أعيد آذر إلى تبريز لتولي مسؤولياته السابقة، لكن الفرصة حينها كانت قد فاتت.

لقد أثير الكثير من الكلام حول الانتصار والإخفاق السريعين لثورة آذربيجان، لكني أود أن اعبر عن نظري في هذا الموضوع، نظر ضابط عبر من قناة ضيقة.

في رأيي إن ما أبداه الجيش الأحمر من مساعدة وعون كان العامل الحاسم في الانتصار السريع لثورة آذربيجان الديمقراطية، كما كان العامل الحاسم في فشلها السريع، وبعبارة أخرى يكمن السبب في الاتكاء اللامحدود للحزب الديمقراطي الاذربيجاني على هذه المساعدة الأخوية للاتحاد السوفييتي. طبعاً كانت جميع مطاليب وشعارات وأهداف الحزب الديمقراطي الاذربيجاني مشروعة وصحيحة وتقدمية مثل: الحريات الديمقراطية وتطور اللغة والثقافة والحكم الذاتي في إطار إيران الحرة، وأهدافه الأخرى في الترفيه عن الطبقات الكادحة، وتعديل العلاقات بين العمال وأرباب العمل، وتنظيم شؤون أصحاب الحرف. لم يكن هناك ما يعترض عليه أحد من أحرار إيران، لكن لم يكن الشعب بجماهيره الواسعة قد استوعب بشكل جيد هذه الشعارات والأهداف.

وهنا يبرز هذا السؤال، هل كان بإمكان الحزب الديمقراطي الاذربيجاني خلال ثلاثة أو أربعة اشهر -ابتداءاً من تشكيله وحتى يوم 21 آذار 1324، يوم الحركة وانتصار الحزب -إعداد وتهيئة

وتعبئة كل الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والرجوازية الوطنية للقيام بثورة وطنية وديمقراطية؟

صحيح أن حزب تودة، قبل تأسيس الحزب الديمقراطي، كان قد انشأ منظمات متفرقة للقيام بنشاطات تعبوية في آذربيجان لكن فعاليات ونشاطات حزب تودة لم تكن كافية في ذلك الزمن المحدود لتغيير وجه المجتمع، وإعداد الجماهير للثورة في مجتمع إقطاعي - برجوازي. قد تكون الظروف المحلية في ذلك الوقت، واعتقاد الحزب بضرورة الاستفادة من حماية الجيش الأحمر، قد أدت إلى المباشرة بالثورة، وإلى تحقيق نصر فيها. طبعاً لم يشترك الجيش الأحمر في الثورة مباشرةً، لكن المرء كان يشعر بحضوره وحمايته لثورة آذربيجان في كل مكان، هذا الشعور نفسه كان سبب استسلام الحزب وعدم المقاومة لمعسكر تبريز وغيره من المعسكرات.

على أية حال انتصرت الثورة، وتشكلت حكومة آذربيجان الشعبية، وعلى امتداد عام من حكمها، أسرعت في إنجاز بعض الإصلاحات الأساسية مثل توزيع الأراضي، وتأمين بعض المصانع ومصادرة أموال وممتلكات الأعداء، وتشكيل الجيش الشعبي الاذربيجاني وإنشاء جامعة تبريز، والأعمال اليومية لفتح وتبليط الشوارع. ولازالت جامعة تبريز والشوارع المبلطة في المدينة ذكرى تلك الأيام.

لكن مع ذلك لم يستطع الحزب أن يكسب إلى جانبه جماهير الكادحين الواسعة. لماذا؟

ذلك ما يجب أن يبحث في قيام الثورة وانتصارها. vإن سبب فشل الثورة يعود إلى عدم تناسب القوى، الإمبريالية والاشتراكية، في تلك الأيام وفي أيامنا هذه كذلك، على الساحة الدولية، كما أن انتصارها كان السبب نفسه بالإضافة إلى الظروف المحلية.

إن ما أبدته القوى الاشتراكية من دعم كبير لثورة آذربيجان الوطنية أدت إلى انتصارها السريع، ولكن وبمجرد قطع هذا الدعم عن حكومة آذربيجان، أصيب الثورة بالفشل.

أنا لا أعارض الأممية والتضامن العالمي بين الشعوب والحركات التحررية والعمالية والمساعدة الأخوية لكادحي العالم بأي وجه، ربما أومن تماماً بذلك. ففي عالم تسيطر فيه الإمبريالية على الشعوب الضعيفة وتقوم باستغلالها فارزه من السذاجة أن نحرم هذه الشعوب من مساعدة بعضها للبعض، لكن هذه المساعدة أو بالأصح هذا العون الخارجي يجب أن يعد عنصراً مؤثراً داخل المجتمع، وبعبارة أخرى، أن يعد العون الخارجي عاملاً لتقوية الثورة وترسيخها من الداخل لا عاملا في خلق الثورة. إن ثورة آذربيجان الشعبية والديمقراطية نموذج حي لمثل هذه الحماية الخارجية، فقد كان نصيب دعم الاتحاد السوفييتي للثورة اكبر من حصة دعم الكادحين الأذربيجانيين لها واشتراكهم فيها. هذا هو سر الانتصار والإخفاق السريعين، فحين كان العون الخارجي مستمراً كانت الثورة تشعر بحرارة في نفسها وحين قطع العون عنها اختنقت.

لقد تلاشت تلك الروح الثورية في آذربيجان بعد رحيل الجيش الأحمر حتى بدأت الجماعات المناهضة بإضرابات عمالية ضد الثورة وكان السبب واضحاً، لم يكن لثورة آذربيجان عمق شعبي، لم تكن تملك أصالة. كانت من عمل الزعيم فقط حتى إن الحزب نفسه كان فقط بيشوري. السادة قيامي وبادكان وبشكل كما يقال الهامي وفريدون إبراهيمي كانوا أشخاصا مؤمنين بالثورة، لكن فيما عدا هؤلاء لم يكن للأعضاء الآخرين للحزب وفي المستويات الأدنى وعي أو فهم ثوري. عدد آخر كانوا من الانتهازيين تلقوا شعارات الحزب وأظهروا التمسك بها واعتبروا ذلك نهاية العمل الثوري. بيشوري نفسه كان في بعض الأحيان يقوم بأعمال غريبة وعجيبة خاصةً في نطاق الجيش، ومن الجائز انه لم يكن يؤمن بعد بأهمية الجيش المنظم، انه كان يعتمد على الفدائيين الذين انتظموا في الثورة وحققوا بعض الأعمال.

أتذكر أن بيشوري ورد ذات مرة لتفقد المعسكر وحين دخله كان الضابط الخفر الملازم أول ديانت يشرف على توزيع الغذاء في المطعم. لقد استدعاه بيشوري واستفسر منه عن سبب تركه لمكتب الخفارة وعدم جلوسه وراء المنضدة في المكتب، وقد أوضح الضابط الخفر أن الواجب لا يتحتم عليه الجلوس الدائم وراء المكتب وانه مكلف بمراقبة كل ما يحدث في المعسكر والإشراف على كل أموره ومنها توزيع الطعام. لقد غضب بيشوري من (حماقته) أمر الجنود بضربه، لكن الجنود ترددوا في ذلك، لم يكن بإمكانهم ضرب ضابطهم عندها طلب بيشوري من حراسه ضرب الضابط المذكور، وهكذا كان واحتجاجاً على إهانة هذا الضابط ترك رفاقه المعسكر لعدة ساعات ولكنهم عادوا إلى الخدمة بعد أن أيقنوا أن مثل هذا الإضراب يلحق الضرر بالجيش، إلا أن اعتراضهم بقي قائماً.

من جانب آخر، اقدم بيشوري على اتخاذ عدة تدابير للتسلية عن الضباط والترفيه عنهم، ومن جملتها دعوتهم ليالي الجمعة إلى العشاء في (شاه كلي) والتحدث إليهم أثناءها عن ثورة آذربيجان، والخطوات القادمة وواجبات القوات المسلحة. من مجموعة أحاديث بيشوري، ومن سلسلة الحوادث التي وقعت قبل وبعد هذه الجلسات، وصلت إلى نتيجة أظهرت لي أن العلاقة بين بيشوري وحزب تودة لم تكن على ما يرام. أتذكر بعد وصولنا إلى تبريز وفي أول جلسة تعارف مع بيشوري قال ضمن الترحيب بنا وبيان موقع الحزب الديمقراطي :-(إن حزب تودة لا يفعل شيئاً غير الأقوال وطرح الشعارات، أما نحن فقد عملنا ورفعنا السلاح).

في ذلك الوقت احدث هذا الحديث عن حزب تودة طنيناً مزعجاً في أذني وبعد ذلك طلب منا الانتماء إلى الحزب الديمقراطي الاذربيجاني ورفضنا الطلب بصمت. وأتصور أن جذور الخلاف بين بيشوري وآذر كانت تمتص من نفس المكان.

إن اعتداء بيشوري على أحد الضباط في الاجتماع الذي أشرت إليه وضربه الضابط الخفر، والأجواء غير الطبيعية والبعيدة عن روح الصداقة بيننا وبين الحزبيين، تعود أسبابها إلى نفس المسببات.

سمعت فيما بعد أن حزب تودة لم يكن قد وافق على دمج تنظيماته مع منظمات الحزب الديمقراطي، ولكنه اقر في الأخير ما تم عمله وانجر وراء الحزب الديمقراطي.

على أية حال هبطت الروح الثورية في آذربيجان بالتدريج بعد انسحاب الجيش الأحمر، ولم تتخذ أية إجراءات للإبقاء على تلك الروح الثورية والاندفاع الجماهيري عند بداية الثورة. ويبدو حتى إن الاندفاع الثوري الأولي كان ناجماً عن اندفاع انتهازي.

كان ضمن أعضاء الحزب الديمقراطي العدد الكثير من المهاجرين الذين يمتلكون ناصية الأمور، ويشغلون المناصب الأساسية مثل وزير الحرب، رئيس عام مراكز الشرطة، رئيس عام الحراسات، رئيس الانضباط وغيرهم كثير.

سلوك هؤلاء المهاجرين لم يكن قد ترك أثرا إيجابيا أو حسناً في أذهان المواطنين منذ بداية وردوهم إلى إيران، فقد كان تعاملهم متعجرفاً مع الأهالي وخاصة المسلحين منهم ضمن تنظيمات الحزب. وكانوا يعتقدون أن هذا هو السلوك (الثوري) الذي يجب أن يعاملوا به المواطنين. لقد كانوا بالفعل انتهازيين سياسيين، ولكن كان هناك قسم من جماهير آذربيجان قد اندمج بالفعل وبصميمية ومنذ البداية مع أهداف الحزب.

طبعاً ،لم يكن هؤلاء السبب الرئيسي في عدم رضاء الجماهير. كان يوجد في تبريز العديد من المعارضين أكثرهم من الكسبة كانوا يعقدون جلسات علنية.

كانت هناك شائعة تقول: إن اغلب الكسبة يملكون لوحة بوجهين: صورة بيشوري على إحدى الوجوه وصورة قوام السلطنة على الوجه الآخر، الألطف من ذلك كله وكما كان يقال، حدثت ذات يوم مظاهرة في تبريز وخرج بعض الناس إلى الشوارع يهتفون:

-يا شاسون بمعنى عاش:

فيسأل أحد البقالين من متظاهر:

-يولداش كيم ياشاسون؟: بمعنى أخونا من يعش؟

فيجيبه:

-هله معلوم دكل! بمعنى الآن ليس معلوما!

لم يكن لنا اتصال على قدر كاف مع الناس، وأحيانا حينما كنا نلتقي مع أحد الكسبة أو غيرهم من أفراد الشعب ويعرف من لهجتنا بأننا لسنا آذربيجانيين يبدو عليه الارتياح، ويقول: بصراحة انه على الأقل يستطيع التحدث معنا بحرية، وبهذا الطريق كان الأهالي يعبرون عن نفورهم من ضباط الحزب أو الضباط الفدائيين. طبعاً يجب أن لا ننسى انه كان هناك عدد ممن تضررت مصالحهم.

مع أننا كنا نعيش داخل الثكنات بعيدين عن الساحة الشعبية، إلا أننا شعرنا شيئاً فشيئاً، إن هذا الوضع لا يمكن أن يستمر على هذا النحو فالحكومة لم تكن بالحكومة القادرة على توعية الشعب وكسبه إلى جانبها لأنها لم تكن تحسب أن الجماهير جزء منها. وقد توضح لنا أن الوضع لا يستمر بصورة خاصة أثناء المفاوضات التي جرت بين تبريز وطهران، فقد ورد مظفر فيروز معاون السكرتير العام لحزب قوام السلطنة إلى تبريز وذهب ببيشوري للبحث عن حل سلمي لمسألة آذربيجان.

وقد تبين واضحاً وجلياً أن القرارات قد صدرت أو أن الأمر قد حسم من مستويات فوقية، وانه لم يبق شيء من ثورة آذربيجان الشعبية أتذكر في نفس تلك الأيام أن أحد الضباط أدار أنفه جهة كتافيته قائلاً:

-رائحة النفط تفوح من كتافياتنا.

طبعاً لم نكن نحن الضباط نعيش من وراء الستار مما يجري من أحداث سياسية. صحيح انه لم يكن لنا جلسات أو ندوات للاطلاع على الأحداث لكن معرفتنا بها كان يتم من محض مشاهداتنا اليومية.

على كل حال تملكنا شعور عام بقرب ووقوع مالا يحمد عقباه، وبينت الأيام فيما بعد أننا لم نكن نملك تصورات خاطئة، لقد شاهدنا حقاً أين وصلت الأمور.

لقد توضح للجميع أن المفاوضات لم تسفر عن نتيجة وان الحكومة الإيرانية قد اتخذت قرار إرسال قواتها إلى آذربيجان. فعقدت اللقاءات والاجتماعات في مدن آذربيجان المختلفة، وعبئت الجماهير على ما ظهر للمقاومة. إن الشعار القائل: (أو لمك وار، دو نمك يخدور- أي يوجد الموت ولا يوجد التراجع) ذكرى تلك الأيام. وقد بعث بالجيش إلى الحدود للدفاع عنها.

استعاد السوفييت عند إجلائهم لقواتهم من إيران الأسلحة والتجهيزات ومن ضمنها المدافع التي كانوا قد زودوا بها جيش آذربيجان. بقي لنا أربعة مدافع جبلية من عيار 75ملم، كنا قد استولينا عليها

من فرقة آذربيجان السابقة. وكانت هذه المدافع تحت إمرتي فأرسلت اثنين منها إلى جبهة قافلانكوه بإمرة النقيب بور هرمزان، وأخذت المدفعين الآخرين إلى جبهة سقز لدعم قوات حكومة كوردستان.

حينما كنت في سقز، كان الملا مصطفى مسؤول الدفاع عن هذه الجبهة. وقد أخذت مدافعي إلى قرية (سرا) التي تبعد مسافة ثلاثة كيلومترات عن مدينة سقز. وقرية (سرا) هي الحد الفاصل بين حكومة كوردستان الشعبية وجيش إيران.

بعد التعرف على الجبهة نصبت المدافع في نقطة مسلطة على مدينة سقز وبقيت انتظر الأوامر.

بعد وصولنا، لم تحدث أية مصادمة في أية جبهة، لكن رفيقنا العزيز قاضي اسد الاهي، هذا الإنسان المؤمن الحر، أصيب من الجو واستشهد عند تبديل المواقع. كنا جميعاً نأمل أن نثأر له وبسرعة. **كنا في اطمئنان داخل مواضعنا ننتظر أوامر الهجوم حين تلاشت كل الآمال مع هبوب الريح.**

كانت ليلة 21آذار، حين رجعت إلى الخلف وذهبت إلى قرية باسم (آلتون خوارو) لتفقد خدمات ما وراء الجبهة حيث كان مركز التموين يقع في إحدى بيوت هذه القرية. كنت هناك مشغولاً بمطالعة البريد الوارد حين أبلغت أن فارساً يريد مقابلتي.

كان هذا الفارس موفداً من عند العقيد (عزت) رئيس أركان جيش الملا مصطفى ومن الضباط العراقيين الكورد الذين اسروا واعدموا في العراق فيما بعد. جاء لي الفارس بظرف من عنده كان يحوي على ذلك البيان المعروف. البيان الصادر عن زعماء الحزب الديمقراطي في آذربيجان وكوردستان والمتضمن اجتناب اقتتال الاخوة وإقرار عدم المقاومة والطلب من وحدات جيش آذربيجان العودة إلى المعسكرات.

وكان العقيد عزت قد كتب لي إلى جانب هذا البيان يقول: **(سيد سلطان. لقد هرب بيشوري، وهرب بناهيان. هرب زعماء الحزب ودخل جيش الحكومة المركزية إلى تبريز واحتل أيضا ما وراء الجبهة في مياندو آب ولحفظ أمن الخطوط الخلفية للجبهة عليك الذهاب إلى بوكان، واخذ المواضع على طرف مياندو آب).**

لقد شعرت بالحيرة عند قراءة رسالة عزت وقررت الاتصال بالرائد بيرزاده الذي كان قد أرسل من قبل حكومة آذربيجان إلى ((سرا) لمعاونة الملا مصطفى. قررت الاتصال به لمعرفة وضع الجبهة بدقة والتخطيط لانسحاب منظم، وأرسلت رسالة إلى الملازم أول رئيس دانا الذي كان قابعاً في الخندق، وطلبت منه أن يرجع إلى التون خوارو وأعلمته بأني ذاهب إلى (سرا).

في سرا وجدت عدداً آخر من ضباط آذربيجان كانوا قد جاءوا أيضا لمساعدة حكومة كوردستان. لاقيت هناك كل من: اصغر احساني آمر فوج مشاة ومحمود تيواي مسؤول تموين الجبهة والضابط الطيار مرتضي زربخت.

كان اكثر ما يبعث على الضحك مأمورية زربخت، كانوا قد أرسلوه للتعرف على الأهداف على الأرض وعن قرب بغية قصفها من الجو فيما بعد. وكانت في آذربيجان طائرتان فقط، طار بهما من طهران إلى تبريز كل من مرتضي زربخت وعلي جودي في مأمورية (الطيران نحو الحرية، ولم تكن الطائرات مزودة بالقنابل. قد يكون انهم أرادوا قصف الأهداف بالرمانات اليدوية.

على أية حال، تبين أن السيد بيرزادة رئيس القيادة قد ترك مقر قيادته قبل الجميع. كان بيان عدم المقاومة قد وصل إليه بواسطة دراجة بخارية، وللتأكد من صحة الخبر ركب المقعد الخلفي للدراجة نفسها ثم ظهر انه قد ذهب إلى الاتحاد السوفييتي.

استفسرت عن أخبار الجنرال عظيمي الذي كان مقر قيادته يقع في مياندو آب. ظهر أن لا أحد يعرف شيئاً عنه هو أيضا. وقد اعتقل واعدم فيما بعد في تبريز.

لم يكن بد من الذهاب إلى العقيد عزت. قال لي عزت:

الحقيقة أن جميع زعماء الحزب الديمقراطي قد هربوا، ولم يبق شيء اسممه الحزب. سيحتل الجيش الإيراني كل آذربيجان خلال يومين أو ثلاثة، وعليك أن تدبر حالك.

نحن في الحقيقة معلقون في الهواء، فالبارزانيون لا يملكون هنا بيوتاً للدفاع عنها. أنت أيضا على الصورة نفسها التي نحن عليها. انك لا تستطيع الوصول إلى تبريز. إن أعداء الثورة وعلى اقل تقدير طمعا فيما تحمله من سلاح سيرمونك بالرصاص على الطريق. إن واجبنا الآن، وواجبك أيضا أن نحافظ على حياتنا. إننا سننسحب إلى مهاباد فإذا رغبت تعال معنا.

سمعت فيما بعد، إن السوفييت كانوا قد أوصوا بيشوري بعدم مقاومة الجيش الإيراني، وأشاروا عليه أن يلتجأ مع أعضاء اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي إلى الاتحاد السوفييتي. وعلى اثر إصرار الجنرال آذر، حصلت الموافقة على التجاء الضباط في تبريز مع عوائلهم إلى الاتحاد السوفييتي أيضا. بعد ذلك فتحت الحدود تدريجياً أمام الجميع. لقد سمعت أن معسكر اردبيل قد عبر إلى الجانب الآخر من الحدود بكامل عدده وعدته وسلاحه. لقد كان بالإمكان، لو لا ما أصاب زعماء الحزب من دهشة وذهول، ولولا إسراعهم في الهروب لإنقاذ جلودهم، جعل كافة وحدات الجيش والفدائيين وكافة الأشخاص الذين يواجهون الإعدام، التمكن من الانسحاب إلى ما وراء الحدود بشكل منظم. وحتى في حالة وقوع بعض المعارك الاضطرارية لكانت الخسارة اقل من تلك التي أسفرت عن مذابح القتل العام لمواطني تبريز، والمدن الأخرى والتي جرت على مدى ثلاثة أيام كاملة.

قررنا الاحتفاظ بأسلحتنا والتوجه إلى مهاباد حيث كان قاضي محمد زعيم حكومة كوردستان الوطنية لا يزال هناك.

في الحقيقة إن تلك المدينة كانت توفر لنا مكاناً آمناً. وتقرر أن يذهب احساني مع فوجه إلى مدينة بوكان حيث مركز تموين الجبهة. وان ينقل منها الأرزاق إلى مهاباد عن طريق قصبة برهان وبواسطة سيارات مستأجرة. وقد وضعت المدافع في السيارة وتبعته أنا مع جنودي على الطريق. ولأننا لم نكن نملك إلا سيارة واحدة، أرسلت الجنود الآخرين بإمرة ضابط على الطريق نفسه ومعهم عدد من البغال.

وتحرك في اثرنا البارزانيون على الطريق كقوة حماية.

في بوكان، وعندما يذهب احساني مع سائر الضباط الآخرين لإخلاء ونقل مستودع الأرزاق، يحيط الأهالي من عشاق البنادق بالجنود، وبحجة مساعدتهم يستولون على أسلحتهم ويهربون بها.

وحين يعود الضباط بعد نصف ساعة لا يجدون أي اثر لفوج من (500) شخص. لقد تبعثر الجنود وذهب كل حسب هواه.

حين يرى الضباط كل من زربخت تيواي، آرتشيار، توكلي، نيكلا واصغري إضافة إلى آمر الفوج احساني إن الأجواء مضطربة يصعدون نفس سيارة الأرزاق ويخرجون من المعمعة باتجاه مهاباد.

خلال الثلاثة أو الأربعة اشهر التي قضيتها في كوردستان، كنت قد تعرفت على طبيعة الناس هناك. فمن خلال حياة طويلة في ظل ظروف مجتمع إقطاعي، كانوا قد انطبعوا على هذه الظروف. يميلون إلى القسوة التي كانوا هم يعانون منها. هؤلاء الناس ومتى ما توفرت لهم القدرة، يضطهدون من يتمكنون منه، الاضطهاد نفسه الذي يمارسه الإقطاع ضدهم خلال سني عمرهم. كانوا يمارسون قسوة الإقطاع عليهم، ضد الآخرين. طبعاً لم يكن أهل المدن على هذه الصورة، كانوا قد تحرروا من هذه العلاقات الإقطاعية واكتسبوا بالتدريج طبيعة اجتماعية وسياسية متحررة. عن طريق معرفتي هذه الطبيعة، تمكنت فيما بعد أن اسحب بساطي من الماء في أي مكان اذهب إليه، كنت أطلق قذيفة أو قذيفتي مدفع قبل الدخول إلى أي مكان عامر، طبعاً دون أن اتخذ هدفاً معيناً، وان لم اكن املك المدفع كنت أطلق صلية رشاش في الهواء، بذلك كان الجميع يخضعون لطلباتنا ويهيئون لنا فوراً كل ما نطلب من غذاء وعلف ومن غير مقابل، في حين كانوا يمتنعون قبل ذلك عن بيع قرص خبز أو بيضة واحدة بأضعاف أثمانها، وبغير ذلك تدخل معهم في معركة إن أردت الحصول على شيء باللسان الطيب، إن السلاح كان العامل المشترك في كل ذلك.

كان هذا الوضع محكوماً في بوكان بصورة خاصة، مما يجدر بالملاحظة أن الكورد الذين قاموا بنزع أسلحة الجنود والفرار بها، كانوا في أكثريتهم من الفدائيين وبيشمه ركه حكومة كوردستان الوطنية سابقاً.

قبل وصولنا إلى بوكان، كانت أخبار فوج احساني وما آل إليه مصيره على يد الأهالي قد وصلت إلينا، أخبرت الجنود بالحقيقة، وأفهمتهم أن ما يهددنا من خطر، اقل في حالة بقائنا معاً مما لو تبعثرنا، لأننا لو تبعثرنا نفقد الأمن وان لم نمت برداً أو جوعاً فلن نفلت من أياد تحين مثل هذه الفرص، وتعهدت السماح لهم بالذهاب إلى أي مكان يختارونه حالما نصل مكان آمن، وهذا ما فعلت.

قبل الجنود أقوالي، وصلنا إلى بوكان في حوالي منتصف الليل، نسيت أن أقول أن أهالي بوكان كانوا قد خدعوا ثلاثة ضباط وهم كل من الرائد خاكساري والنقيب ظهيري والملازم حق برست، فأخذوهم إلى بيوتهم بحجة إنقاذهم لكنهم في الحقيقة اعتقلوهم لتقديمهم ضحايا. في هذا الجزء من المذكرات ورد اسم احساني لعدة مرات، في الوقت الذي رأينا فيما سبق انه كان قد جرح في كنبد ووقع في الأسر فنقل إلى طهران حيث اعتقل مع غيره من الضباط الأسرى المشاركين في حركة خراسان، بهرام دانش وحسين فاضل ورحيم شريف وعلي ثنائي، لقد استطاع الضابط الفرار من سجن الحامية أثناء محاكمتهم، ووصلوا إلى تبريز، وكان الشهيد البطل روزبه قد خطط لعملية الهروب ونفذها الرائد حميدي الذي التحق أيضا بجمهورية آذربيجان مع هؤلاء الضباط.

وحكم من جراء ذلك بالحبس مدة ثمانية اشهر على أربعة جنود، وبعد تمام هذه المدة عادوا إلى خدمتهم العسكرية.

نعود لمتابعة الأحداث.

أوصاني الرائد جلال وهو أحد الضباط العراقيين الذين التحقوا بالبارزانيين أن أسارع إلى إطلاق الرصاص أمام أقدام الكورد حالما يقتربون منا وذلك لتخويفهم ورفع معنويات جنودي وكنت متردداً في البداية خشية إصابة البعض منهم،

لكني لاحظت أن ترددي شجعهم على الاقتراب ومحاصرة سيارتي وعدم اخذ تهديداتي مأخذ الجد، مما أوقعنا في موقف خطر. فأخليت صلية رشاش أمامهم، وحينما أدركوا أنى استعد لإعداد صلية أخرى تراجعوا، لكنهم ظلوا يتبعوننا على بعد خطوات. وقد ذكرني سلوكهم هذا بقصة قرأتها في الكتب الابتدائية بعنوان (موت الحمار وعرس كلب) كانوا ينتظرون أن نغرق في الوحل ونعجز القيام بأي عمل، للانقضاض علينا. فقد كانوا يعشقون البنادق.

على أية حال وصلت مع جنودي مهاباد بعد مسيرة ثلاثة أيام صعبة ذقنا فيها من البرد والأوحال ما فيه الكفاية. اضطررنا أن نترك المدافع على الطريق بعد أن عصت سيارتي في الوحل وأبت أن تتحرك من مكانها.والتحق بنا الجنود الذين كنت قد أرسلتهم مع البغال.

وصلنا مهاباد يوم 24 أو 25 آذر 1325، وذهبت مباشرة للقاء قاضي محمد لكنه لم يكن في مهاباد. قالوا انه ذهب إلى ميأندو آب لاستقبال الجيش. وقال لنا أمير حسين خان وزير الدفاع، نحن أنفسنا لا نعرف ما نفعل، ولكني اعتقد أن بقاءكم في مهاباد ليس من الصلاح، ذلك لان من الممكن أن يدخل الجيش إلى مهاباد في كل لحظة.

طبعاً لم ننتظر دخول الجيش إلى مهاباد، ولم نكن قد شهدنا أيضا دخول الجيش الإيراني إلى آذربيجان، لكن سمعنا فيما بعد أن الجيش كان قد عسكر لثلاثة أيام في باسمنج -قرية قريبة من تبريز -قبل دخوله المدينة، ووفر لمرتزقته من أعداء الثورة الحرية الكاملة في التعامل مع أهالي تبريز المساكين بالشكل الذي يهوونه.

لقد اغرقوا خلال هذه الثلاثة أيام، أهالي تبريز في حمام من الدم، قتلوا الرجال واعتدوا على النساء ونهبوا الأموال واحرقوا البيوت. بعد ذلك دخل الجيش (الفاتح) إلى مدينة تبريز وأنجز ما عجز عنه عملاؤه من قتل ونهب ودمار.

اعتقل الجيش (26) ضابطاً، وأعدهم بعد محاكمة صورية. لقد اعدم رمياً كل من الجنرال أبو القاسم عظيمي، والعقيد مرتضوي والرائد قاسمي وجودت واكهي والنقيب غفاري وجعفري سلطاني مع (19) ضابطاً آخر. واعدم شنقاً فريدون ابراهيمي ورامين وقلي وصبحي وعدد آخر.

وسمعنا كذلك، أن في تبريز وحدها استشهد (20) ألف شخص. وأثناء تلك اعدم في مهاباد أيضا أربعة ضباط وهم ظهيري وحق برست وشفائي وخاكساري رمياً بالرصاص .

كان هؤلاء الشهداء قد انضموا إلى ثورة آذربيجان وهم يأملون بكل جوارحهم أن ينعم كل جزء من وطننا بالحرية والإنعتاق. كانوا يعتقدون ذلك، وكان اعتقادهم نابعاً من تأريخ بلادنا، فعلى طول التأريخ كان الناس في آذربيجان طلائع مسيرة الحرية في إيران. في هذه المرة أيضا، كان أحرار إيران يأملون أن يشع مشعل الحرية في آذربيجان ليضفي بنوره على كل أنحاء إيران.

واحسرتاه، لم يبق من كل ذلك غير ذكريات مؤلمة وعشرات الآلاف من الشهداء. لماذا؟

اعتقد إني أوردت السبب فيما سبق، فلو كانت هذه الثورة قد انفجرت داخل أعماق جماهير آذربيجان، لم تكن لتقضي عليها بهذه السهولة حتى وان افتقدت إلى تأييد خارج الحدود.

الفصل الثالث

البارزانيون ـــــــ

يقع مركز عشيرة بارزان في أعلى زاوية من شمال العراق، وفي منطقة جبلية وعرة على الحدود الإيرانية التركية.

بسبب سكنى البارزانيين في هذه المنطقة المغلقة والبعيدة عن مراكز المدن، يتمتع أفراد هذه العشيرة بكمال جسماني وأخلاقي، فلا زالت التقاليد الأبوية الموروثة تحكم علاقات هؤلاء الأفراد البعيدين عن تأثيرات المدينة السلبية.

لم يجد الفساد الأخلاقي للمدينة طريقاً له بينهم، وفي نظري أن هؤلاء الأفراد مسلمون مؤمنون لكنهم غير خرافيين، إن رئيس العشيرة هو الزعيم الروحي في الوقت نفسه، وهذا المركز وراثي في نظام العشيرة.

يعتقد البارزانيون بوجود روح باسم (شيخ بارزان) وان بإمكان هذه الروح صيانة العشيرة والمحافظة عليها. ورؤساء العشيرة هم من ورثة (شيخ بارزان) ذاته.

وهم أي البارزانيين كانوا على خلاف وحرب دائمة مع حكومات المنطقة، وهم لا يرغبون في الخضوع لها ولا تتوفر لهم فرص السلام. لذلك هم مع هذه الحكومات في حروب متواصلة، مرة مع الأتراك ومرة مع العرب وأخرى مع الإيرانيين.

في عام 1936 وفي الوقت الذي أعلن فيه كمال اتاتورك –وعن طريق إقامة المذابح الجماعية طبعاً-حل القضية الكوردية، أرسل رئيس هذه العشيرة الشيخ عبدالسلام رجاله إلى مدينة دياربكر لمساندة ومناصرة كورد تركيا. وقد وصلوا، كما هو معلوم إلى مدينة دياربكر في تقدمهم لكنهم أخفقوا هناك حيث اعتقل الشيخ عبدالسلام نفسه وشنق، وعاد البارزانيون إلى منطقتهم بارزان.

بعد الشيخ عبدالسلام، ترأس العشيرة الشيخ احمد. وعندما كنت وسط البارزانيين أواخر عام 1325، كان الشيخ احمد نفسه لا يزال زعيماً لعشيرة بارزان.

لم يركع البارزانيون أبدا أمام الدولة العراقية. وقد احتلت الحكومة العراقية منطقة بارزان لعدة سنوات بعد الحرب العالمية الثانية واندحار البارزانيين في تركيا، واعتقلت شيوخ بارزان: الشيخ احمد، الملا مصطفى، الشيخ محمد صديق –أشقاء الشيخ احمد –والشيخ سليمان نجل الشيخ عبدالسلام، وأودعتهم سجون البصرة وكركوك ثم وضعتهم تحت المراقبة.

كانت السياسة البريطانية في العراق إضافة إلى استهدافها موالاة الحكومة المركزية، ترمي إلى استمالة القوى الإقطاعية وإبقائها رهن إشارتها وذلك بغية الاستفادة منها عندما تكرر حوادث من قبيل حركة (رشيد عالي الكيلاني).

إحدى هذه العشائر كانت عشيرة بارزان، والتي ساعدت بريطانيا شيوخها للهروب من السجن في كركوك والوصول إلى منطقة بارزان.

بعد أن يعود الملا مصطفى إلى منطقة بارزان يجمع حوله رجاله، ويبدأ الحرب ضد الدولة العراقية ويجبرها على إطلاق سراح شيوخ بارزان والسماح بعودتهم إلى بارزان.

تمتلك عشيرة بارزان 1500 مقاتل على درجة عالية من الضبط والطاعة.

الملا مصطفى البارزاني رجل فاهم رغم انه لم يتلق تعليماً مدرسياً. انه يعرف اللغات الفارسية والعربية والكوردية بصورة جيدة ويتحدث أيضا بالتركية. وتلقى الفارسية من كلستان ويتحدث بلهجتها. **أتذكر في مهاباد وحينما خرجت من عند امير حسين خان وزير حرب قاضي محمد، لقيت ملا مصطفى واقفاً مثل نبي وسط اتباعه، يوزع العتاد عليهم ويتحدث إليهم. حينما وقعت أنظاره علي توجه نحوي،** فقد كان لي معرفة سابقة به.

بعد أن تعرف الملا مصطفى على ما نحن فيه من قلق ومن غير قضية قال:-

(لست بيشوري، ولست بناهيان، اكون رئيس الأركان في وقت السلام، وحين تحل الحرب اهرب لأعيش في باكو! ما املكه هو هذه البندقية – كان قد حمل البندقية- وما دامت بندقيتي في يدي فأنا سيد نفسي ومالكها لست خادم أية قوة ولا أية حكومة، لا الإنكليز ولا أمريكا ولا الروس).

بعد ذلك تحدثنا في مواضيع أخرى، **لاحظت انه يملك فهماً سياسياً ناضجاً. فقد قال بنفس الأسلوب الهادئ.**

(إن ظروف العالم تجبر الروس على مساعدتنا. وانهم يحتاجون إلينا في هذه المنطقة ونستطيع أن نستفيد منهم للعمل على استقلال كوردستان. أنا لست شيوعياً ولست إقطاعيا أنا ديمقراطي).

للديمقراطية في نظره مفهوم خاص: إنها تعني أن يجلس مع أبناء شعبه على مائدة طعام واحدة، يأكل مما يأكلون، يذهب معهم إلى الحرب، وينام في الخندق إلى جانبهم.

كان لملا مصطفى سلوك خاص، يجعل من البارزانيين أن يكنوا له الحب والتقدير.

كان يكفي أن يعتلي صهوة جواده، ليتبعه (500) فارس مسلح دون أن يدركوا أو يسألوا عن وجهة السفر.

وحينما كان يعطي أوامر حربية، كان مطمئناً أنها ستنفذ بدقة، إحدى المرات كنت شاهداً على ذلك. كان البارزاني واقفاً جانب جبل وأعطى الأوامر لجنده.

(خمسة رجال يصعدون ذلك الجبل، أنت يا عمر خذ(5) خمسة رجال واصعد القمة. وأنت يا موسى اذهب مع (4) رجال إلى الجبل ذلك..)

هذه الأوامر كانت تنفذ فوراً.

كان الملا مصطفى يملك مهارة جيدة جداً في التعرف على طبيعة الأرض فيعطي قراراته على ضوء هذه الخبرة. وكان يعمل أيضا بجد واستحسان.

نحن المتخصصون من رجال التاكنيك والمتعلمون عسكرياً وفنياً، كنا حين نتخذ قراراً على ضوء مناقشة الخطط والاستشارة، نكتشف –إذا كان قرارنا صائباً- إننا توصلنا بعد كل ذلك إلى نفس القرار الذي كان البارزاني قد اقره.

مثلما قلت كان الملا مصطفى يتعرف على الأرض بمهارة ويتمكن من الاستفادة من طبيعتها، وكان يعرف بصورة جيدة معنويات جيشه ومعنويات العدو وروحيته.

Vصحيح إن سر الانتصارات الحربية لملا مصطفى يعود إلى ما أبداه أفراد عشيرته من جرأة وشجاعة في المعارك، لكن قبل هذه السمة، **كانت موهبة وكفاءته الشخصية باعثاً على النصر.**

انه كان يزن قوته وقوة أفراده، المكان الذي يعرف انه لن يصله، ينسحب منه بكل هدوء، لم يكن أحد يستطيع أن يقول انه تراجع بسبب الخوف، لأنه كان يدرك متى يجب الهجوم ومتى يكون التراجع ضرورياً.

في أواخر الحرب العالمية الثانية (عام 1945) حينما لاحظ البارزانيون أن الحكومة العراقية في وضع مضطرب، فكروا في الاستفادة من سلاحهم والعمل على فصل كوردستان من العراق **وتشكيل حكومة كوردستان المستقلة.**

إن قلوب شعب كوردستان سواءاً كانت في المدن أو الأرياف، تنبض بعشق استقلال الكورد، طبعاً من الممكن أن يكون لكل منهم نظرته ومفهومه من كلمة الاستقلال، لكن الكل يعشقونها. ذات يوم سألت سيدة عن مفهومها وغايتها من حرية واستقلال كوردستان، أجابتني قائلة:-

الحرية تعني أن أكون حرة في رعي أغنامي في المرعى الذي ارغب فيه وان أبيعها بالقيمة التي تناسبها، وان أعطي لبنها وسمنها لأي شخص وبأي ثمن أريد التعامل معه، وان لا تتدخل الحكومة المركزية في أي أمر من ذلك.

من الطبيعي أن لجماهير الشعب مفهوم آخر لمعنى الاستقلال. وعلى هذه الصورة فأن كلمة الاستقلال ودون أن تعني مفهوماً دقيقاً ترن منذ الصغر في أذان الكورد، **وهم يتطلعون بشوق وأمل إلى ذلك اليوم الذي يحتضنون فيه البندقية ويحاربون على طريق استقلال الكورد.**

طبعاً الملا مصطفى والشيخ احمد يدركان معنى الاستقلال بدقة اكثر، انهما على اطلاع واسع بتأريخ الكورد وكوردستان، وعلى معرفة تامة بحدودها ومدنها ومجموع نفوسها وأوضاعها العامة.

كانت هذه الفترة تصادف الوقت الذي تشكلت فيه حكومتا أذربيجان وكوردستان الوطنيتان في إيران.

كان الملا مصطفى يقول (فقط بمساعدة السوفييت، يمكن تشكيل حكومة كوردستان الموحدة المستقلة .ذلك لأنه ليست للسوفييت مصلحة في تجزئة كوردستان، **ربما على العكس فان مصالحهم تقضي بتوحيد الكورد، في إيران والعراق وتركيا في دولة مستقلة).**

كان يقول ذلك بالاستدلال، أن السوفييت يجعلون إنكلترا وأمريكا اكثر ضعفاً كلما فصلوا عنها جزءاً من الأرض، وان هذه البلدان الثلاث مستعمرات لإنكلترا وأمريكا.

كان الملا مصطفى يقول أيضا. انه حينما كان يناضل في العراق من اجل حكومة كوردية مستقلة. حاول الاتصال بالروس الذين كانوا في الرضائية وتمكن من ذلك، إلا أن الروس (ارذال) على ما يقول الملا مصطفى، وقصده من كلمة (رذيل) الفتور والبرودة، لا يمكن جذب اهتمامهم بسهولة. لان ذلك يتطلب الكثير من الأعمال التي لا أستطيع أن اقرها أو الموافقة عليها. **أنا لست عميلاً ولا جاسوساً، أنا خادم شعبي وأمتي فقط.**

مع ذلك كان الملا مصطفى قد تمكن من أن يجذب نظرة واهتمام السوفييت. عشيرة بارزان فشلت في حربها مع العراق، لان قسماً من الجيش البريطاني في ذلك الوقت وبالاستفادة من طائرات هاريكن، كان قد دمر منطقة بارزان بالنيران، واحرق مزارعها، وفي النهاية انسحب البارزانيون إلى إيران والتجئوا إلى حكومة كوردستان الوطنية.

في يوم من أيار شهر يور عام 1325، وفد معسكرنا في تبريز الملا مصطفى البارزاني الذي كان قد اصبح الجنرال البارزاني ومعه (60) ستون شخصاً من البارزانيين كان البارزاني قد أتى بهم إلى تبريز للتدريب على سلاح المدفعية. كما كان قد أرسل بالشباب ممن يتمتع بشيء من الثقافة إلى الكلية العسكرية، وأرسل أيضا الفتيان إلى إعدادية تبريز العسكرية.

كان آمر هؤلاء ال(60) شخصاً، الرائد نوري وهو ضابط من ضباط الجيش العراقي.

منذ ذلك الوقت تعرفت على البارزاني في ذلك المكان، لم يتلق هؤلاء التدريب والتعليم اكثر من ثلاثة اشهر، فقد اندلعت الحرب بين الجيش الإيراني وحكومتي آذربيجان وكوردستان، فوفد إلى تبريز مجدداً الملا مصطفى واخذ رجاله إلى جبهة (سرا) قرب مدينة سقز.

في الليلة التي وصلت فيها إلى مهاباد، **رأيت الملا مصطفى كان على ما وصفه أحد رفاقي مثل نبي أحاط به اتباعه وهو يمنحهم الذخيرة.**

لقد اقترح علينا أن ننضم إليه، وطمأننا بأننا سنكون في أمان عنده وافقنا على اقتراحه، وتوجهنا في الليل إلى نقدة، ولكن قبل أن نتحرك أمرت بعض الجنود ومعهم عدد من البارزانيين بنقل المدافع والذهاب بها، وقد انضموا إلينا صبيحة اليوم التالي وسط الطريق.

كانت شنو لم تزل منطقة آمنة، قرر البارزانيون الذهاب إليها وكان الشيخ احمد قد حضرها من قبل.

لم يكن الجيش الإيراني قد وصل بعد إلى هذه المدينة الواقعة في زاوية حدودية دولية لإيران والعراق وتركيا، كان البارزانيون يأملون أن يتخذوا منها مأوى يحميهم من البرد والشتاء قبل أن يصلها الجيش.

اتبع الجيش سياسة خاصة في التعامل مع البارزانيين، ويظهر انه لم يكن يملك غير ذلك، فلم يكن الجيش الإيراني وفق ظروفه تلك، قادراً على القضاء على البارزانيين بسهولة، فقد كان عليه أن يتحمل خسائر جسيمة إن احتدمت المعارك، بالإضافة إلى ذلك ولان البارزانيين ليسوا بإيرانيين كانت الدولة مضطرة أن تقبل بهم كلاجئين أو تسلمهم إلى العراق مما ينجم عن ذلك مشاكل للدولة. ومن الممكن أن تكون إحدى الوسائل أيضا، محاصرة البارزانيين وذبحهم أو إخراجهم بالقوة من إيران وسوقهم نحو العراق.

يظهر أن الجيش اختار اكثر الوسائل منطقية، حيث انه أي الجيش كان قد دخل آذربيجان لتوه، وكانت له مشاكل عديدة، فاضطر أولا أن يصفي المعارك في الجبهة وما وراء الجبهة قبل أن يقرر موقفه من البارزانيين. عمل الجيش وفق هذه الصورة ودخل في مفاوضات مع البارزانيين.

كنا قد استفسرنا لتونا في مركز عشيرة (قره باباخ) في (نغدة) الواقعة على طريق مهاباد-شنو.

ورد إلى نغدة العقيد غفاري لإجراء محادثات مع الملا مصطفى ودعاه إلى زيارة طهران، وبعد أن استشار الملا مصطفى الشيخ احمد، قبل الدعوة وسافر إلى طهران مع عدد من الضباط العراقيين.

حينما وصل ملا مصطفى إلى مهاباد في طريقه إلى طهران كان الجيش الإيراني قد احتل هذه المدينة، كان العميد همايوني آمر القوة الزاحفة على كوردستان يشرف على استعراض للجيش وهنا شهد الاستعراض كل من ملا مصطفى وقاضي محمد من جانب، ومن الجانب الآخر شاهده العميد همايوني.

لقد حدثنا الملا مصطفى عن هذا الاستعراض وسفره إلى طهران فيما بعد، استقل الملا مصطفى ورفاقه الطائرة إلى طهران، وأجرى هناك محادثات ولقاءات مع مسئولي الحكومة على مدى (20) يوماً.كانت الحكومة تحاول نزع سلاح البارزانيين بصورة سلمية وإسكانهم في منطقة من إيران، قيل إنها كانت همدان، وكانت الدولة مستعدة لقبول المتهمين السياسيين الفارين من العراق كلاجئين في إيران، وان تضع الأرض والمال تحت تصرف بقية أفراد العشيرة للعمل في الزراعة.

أوضح الملا مصطفى قائلاً، لا ينبغي لنا الحرب مع إيران، ولنا طريق واحد يجب اتباعه وهو اكتساب الوقت لحين انتهاء موسم البرد والثلوج للعودة بأطفالنا وشيوخنا إلى العراق ونلتجئ نحن إلى الاتحاد السوفييتي لانتظار فرصة أخرى نعود فيها إلى العراق ونتابع السير على طريق تحقيق أهدافنا.

قال الملا مصطفى في نفس الوقت، إن الاتحاد السوفييتي أيضا ليس مكاناً لنا، انه كان ينعت السوفييت بكلمة (رذيل) ويراد بها النشاط والضبط والحذر وأشياء من هذا القبيل، كان يقول هناك من يعمل يأكل ولا يستطيع بلد كهذا أن يوفر مكاناً مناسباً لنا، لكنه يستطيع فعلاً أن يكون مأمناً لنا، **فأن كنا نرغب الاحتفاظ بأسلحتنا لاستعمالها يوماً على طريق حكومة كوردستان المستقلة يجب علينا الذهاب إلى هناك.**

تحدث لنا الملا مصطفى عن سفره إلى طهران قائلاً، في البداية وصلنا إلى فرقة (دوقصر) وهناك استقبلنا المسؤولون. التقيت بكل من قوام السلطنة و(رزم آرا). **رزم آرا انسان ذكي جداً، أما قوام السلطنة فهو شخص متكبر وأناني**، وتحدثت مع (شاهكم) أيضا.

كان الجيش قد صرف نقوداً كي يشتروا لي الملابس. لكن ذلك العقيد المسيء(غفاري) أراد الاحتفاظ بالنقود وأعطاني ملابسه القديمة. **أنا لا يهمني إن كان معطفي جديداً أو عتيقاً. هذه المسائل لا تهمني، لكني أردت أن افهمه بأننا وان كنا حقاً أناسا جبلين، إلا أننا نفهم كل شيء. قلت له:.**

(سيد العقيد عار لدولة مثل إيران تملك كل هذا التأريخ، تلبس ضيفها ملابس عتيقة) ويبدو انه فهم الإشارة، فأخذني مباشرة إلى مخزن ملابس وقال، اختر أي شيء تريد. هذا المعطف الذي ارتديه اشتريته من هناك

بعد ذلك أخذوني إلى قصر الشاه. رأيت كل من في غرفة الانتظار يتحدث بالإشارات والإيماءات، وتصدر عنهم كلمات (هس، هس).ويؤشرون على الباب قلت :بابا أليس لكم لسان؟ هل أصاب الخرس كلكم؟ ما معنى هس، هس؟ ما هذه الإشارات؟ قولوا ما تريدون. لكنهم ظلوا يؤشرون على الباب، كنت اعرف ماذا يقصدون لكني أردت استنطاقهم فالشاه هو أيضا إنسان.

حين فتحوا الباب رأيت الشاه جالساً فذهبت وسلمت عليه. أشار الشاه إلى أحد الكراسي في غرفته فجلست عليه. أضاف الملا مصطفى (تحدثت لساعتين مع شاهكم، رحب بي كثيراً وحينما أردت الخروج من عنده طلب أن اجلس ثانية، فقلت لن انصرف إلا حين تأمر، تحدثت إليه مرة أخرى.. وتحدث هو أيضا، فأعرب عن نيته في إسكاننا في منطقة من إيران، أجبته يا صاحب الجلالة: والله انك سمح وكريم، وأنا اقبل كل اقتراحاتك. لكن الشيخ احمد هو رئيس العشيرة وهو الذي يقرر).

تابع الملا مصطفى يقول **(تحدث الشاه عنكم أيضا، انتم الضباط وطلب أن أسلمكم إياه، قلت له: نحن لم نؤسر هؤلاء الضباط حتى نسلمهم ثم انهم ستة شبان (كنا ستة ضباط رسميين من مجموع عشرة) لا يتجاوز مجموع أعمارهم مائة سنة، بدلاً عن هؤلاء الشبان الستة، أعطيك ثمانية عشرة شاباً من عوائلنا، أنا والشيخ احمد وأشقائنا الآخرين، وكلهم شباب خيرين أعطيك إياهم بدل أولئك**

الشباب الستة، فأنت أيضا لا ترضى أن نفقد ما ورثناه من فخر وشرف ونجلب لأنفسنا لعنات الأجيال القادمة إذا تخلينا عن هؤلاء الضباط).

الخلاصة كانوا قد اقترحوا عليه في طهران أن يتم إسكان البارزانيين في منطقة همدان. وكان الملا مصطفى قد ربط موافقته برضاء الشيخ احمد. وان تبدأ عملية إسكانهم حال انتهاء موسم البرد، كما كان الاتفاق ينص على أن تنتقل العوائل تباعاً بعد نزعها من السلاح مع كل شاحنة واردة ومحملة بالحبوب.

حول هذا الاتفاق قال الملا مصطفى (لو لم اكن قد وافقت، لما أخلوا سبيلي).

في طهران اخذوا الملا مصطفى لمشاهدة مصانع السلاح في قورخانة وسلطنة آباد، والقوة الجوية، وكلية الضباط، عن هذا الموضوع قال الملا مصطفى (ذات يوم أخذوني إلى كلية الضباط لمشاهدة أسلحة الجيش، فقلت لرزم آرا: **والله يا جنرال إن كنت أنا أخشى من كل هذا السلاح وقوة هذا الجيش المقتدر، فالمهم أن تخاف عشيرة بارزان، وأبناؤها لا يخشون كل هذا السلاح، انهم يملكون فقط بندقية وقطعة خبز ويعشون على قمم الجبال).**

أضاف الملا مصطفى (لقد أرادوا من مشاهدتي لسلاحهم، تركيعنا لمشيئتهم وهكذا أجبتهم).

عاد ملا مصطفى من طهران في النصف الثاني من شهر دي. كانت علاقتنا نحن الضباط معه جيدة جداً، كان يشعر إننا نفهمه افضل من الآخرين.

رئاسة الشيخ احمد وسائر شيوخ بارزان لم تكن رئاسة قاسية أو رئاسة طامعة. كانت العشيرة تؤمن إيمانا مذهبياً بزعيمها الروحي. خليفة وممثل شيخ بارزان، وشيوخ بارزان في الحقيقة كان رمز الاعتقاد المذهبي لعشيرة بارزان. قال لنا الملا مصطفى (إن الشيخ احمد يود الرجوع بأقرب وقت إلى بارزان في العراق، لكنه يدرك أن العودة إلى بارزان تتطلب التخلي عن سلاحنا. ونحن إذا تخلينا عن السلاح أصبحنا أناسا ضعفاء لا حول لنا ولا قوة. ويقرر الآخرون مصيرنا) كان الملا مصطفى يردد ويؤكد دائماً (إن الفرد مادام يملك سلاحه فهو سيد نفسه ويستطيع أن يقرر اختياراته.. أما إذا تخلى عن سلاحه فأن الآخرين يقررون مصيره ويصبح مضطرا لقبول خيارات الغير مهما كانت صعبة أو غير ملائمة. وهناك الكثيرون من أبناء عشيرة بارزان لا يرغبون بإلقاء سلاحهم، خاصة وان هناك (120) شخصاً من أفرادنا يواجهون حكم الإعدام إذا عادوا إلى العراق. وهم لا يجدون مكاناً لهم إلا في الاتحاد السوفييتي، فيرغبون الذهاب إلى هناك بصورة مؤقتة للعودة إلى العراق في فرصة مناسبة من اجل معاودة النضال على طريق تشكيل حكومة كوردستان).

كان يقول أيضا:**(أنا لست شيوعياً، وليست لي صلة بالشيوعية، أنا ديمقراطي. وأود أن تعيش أمتي في سلام ومساواة وتحرر. وان أتمكن يوماً أن انصب علم كوردستان على رابية منها، أكانت في العراق أو في إيران أو تركيا لا فرق في ذلك).**

سبق وان قلت إن الملا مصطفى عاد من طهران في النصف الثاني من شهر (دي) وكانت علاقة عشيرة بارزان حسنة مع الدولة الإيرانية حتى بعد شهر من عودة الملا مصطفى، حتى إن الجيش أرسل ذات مرة شاحنة حبوب للبارزانيين، ولكن الملا مصطفى امتنع عن تسليم الأسلحة ونقل بعض العوائل مع تلك الشاحنة إلى همدان بحجة برودة الجو وإجراء محادثات مع شيوخ بارزان.

بعد شهر يئس الجيش من استسلام البارزانيين، فأتخذ مواقعه في أطراف المنطقة التي يتواجدون فيها واعد وحداته لشن الهجوم عليهم. بالمقابل استعد البارزانيون في مناطق (نغدة)و(واشنويه).

وقبل بدء الحرب وجريان معاركها أعود للتحدث عن أنفسنا والوضع الذي كنا نعيشه. بعد أن التقينا أنا ورئيس (دانا) بالبارزانيين وبعد تصميمنا على مرافقتهم كلفنا بعض الجنود وبعض الأفراد البارزانيين بنقل المدافع وتحركنا نحن باتجاه (نغدة).

كما توجه ستة ضباط آخرون بعد وصولهم إلى (مهاباد) والالتقاء بالقاضي محمد إلى الرضائية على أمل الذهاب من هناك إلى الاتحاد السوفييتي. كان هؤلاء قد تلاشى فوجهم في مدينة (بوكان). وعند وصولهم أطراف الرضائية. جاءهم الخبر بأن المدينة تحت سيطرة المناهضين للحزب، فعادوا على أعقابهم ووصلوا (نغدة) في حوالي الساعة الثامنة ليلاً ودخلوا إحدى المقاهي.

كانت القوات البارزانية حينذاك قد دخلت نغدة. وكان الشيخ محمد صديق (أحد أشقاء الشيخ احمد) والملا مصطفى قد أعلن الأحكام العرفية ومناديه يجوب شوارع المدينة يقول (الحكم، حكم الشيخ محمد صديق البارزاني، ممنوع التجول بعد الساعة التاسعة ليلاً).

بعد العشاء نام الضباط الستة في مقهى ذاته لانعدام التجربة واطمئنانهم اللامبرر، لقد اغفلوا أن السلطة كانت مزدوجة في المدينة حيث يحكمها كل من البارزانيين و(قرة باباخ) العشيرة التركمانية التي تسكن شبه جزيرة في منطقة كوردستان بين مدينتي مهاباد والرضائية، وتعرف منطقتهم باسم (سولوز) ومركزها مدينة (نغدة). كان رئيس عشيرة (قره باباخ) في ذلك الوقت شخصا يدعى (قلي خان برجالو)، كان قد منح رتبة عقيد من قبل الحزب الديمقراطي الاذربيجاني وفي إمرته (1000) فارس أعدهم للحرب ضد الحكومة المركزية، وحين ينقلب الدهر على الحزب، ينتقل (قلي خان) مباشرة إلى الجبهة المضادة ويرفع علم إيران على مدينة (نغدة)، وينصب نفسه باسم قوام السلطنة قائمقاماً عليها. ومعه ينقلب الفرسان أيضا إلى موظفين يعتقلون ويقضون على كل من ظل على وفائه للحزب.

يصل خبر أصدقائنا الضباط إلى هؤلاء الفرسان، وكانوا بمثابة لقمة سائغة وفرصة مناسبة للتكفير عن ذنوبهم، فاعتقالهم وتسليمهم إلى الدولة قد يبيض الملفات (السوداء) لهؤلاء الأشخاص الذين خدموا الحزب.

على أية حال يدخل الفرسان من (قره باباخ) إلى المقهى أثناء الليل ويعتقلون الضباط بعد تجريدهم من السلاح.

لقد اعتقلوا كل من (زربخت، احساني، ارتشيار، توكلي، علي اصغري، ونكيلا، وتم سجنهم في مسجد المدينة، كما سرقوا وبحجة تفتيشهم حتى ملابسهم، عند الصباح وأثناء نقلهم إلى أحد البيوت التي كانوا قد أسموها مركز القائمقامية، يشاهدهم على الطريق أحد الكورد البارزانيين باسم **كاكه صالح.** فيسرع لإيصال الخبر إلى الشيخ محمد صديق.

في مركز القائمقامية وفي الوقت ذاته الذي قيد فيه فرسان قره باباخ ايادي الضباط واعدوهم للحركة باتجاه استقبال الجيش لتقديمهم ضحايا له، **يدخل المركز ابن الشيخ محمد صديق مع عدد من المسلحين البارزانيين. فيحرر الضباط من الأسر ويجرد فرسان القره باباخيين من السلاح،** كما قلبوا محتويات وأثاث القائمقامية رأساً على عقب وبعثروا أمتعتها هنا وهناك، في الحال يتحول السجانون القساة من اتباع الدولة إلى ما قبل لحظات، إلى مريدين وفدائيين للضباط، فيعيدون إليهم فوراً كل ما نهبوا منهم وهم يستجدون العفو والمعذرة، ويتسابقون في إظهار إخلاصهم ووفائهم للحزب والدليل وسام (21) آذار الذي لا يزال معلقاً على صدورهم.

حين وصلت إلى نغدة كان قد مر يومان على هذه الحادثة وتحرير هؤلاء الضباط كان قد تم إنقاذهم من خطر حتمي.

دخلت نغدة مع الجنود والمدافع بشكل عسكري منظم. فقد كنا نشكل قوة في حد ذاتنا عشرة ضباط مع مدفعين وحوالي (130-140)جندياً اخترنا مكاناً خاصاً وبقينا لعدة أيام ننتظر مجريات الأمور. نفذ صبر الجنود بالتدريج. لم يكن يملكون هدفاً معيناً، في الحقيقة كانوا يشعرون بأن عليهم القتال من اجلي. وكنت قد جلبت بعض المال لنفسي من آذربيجان. فأعطيت كل واحد منهم قسماً يتمكن بواسطته من الوصول إلى بيته بعد أن استلمت البنادق منهم..

ورخصتهم بالذهاب بعد أن احتفظت بعدد منهم، وافقوا على حراسة المدافع. بعد مدة قصيرة قصدت بلدة (اشنوية) بمرافقة أحد الأدلاء أو (شاه رضا) على حد تعبير البارزانيين.

أتذكر حين وصولي إلى (اشنوية)، قال أحد أصدقائنا (نحن الآن في اليوم الأول من شهر (دي)، وأمامنا بعد ثلاثة اشهر كاملة من الشتاء والثلوج). في (اشنويه)، اتخذنا داراً نقيم فيها كانت صاحبة الدار تعد لنا الطعام أيضا. اتخذنا لأنفسنا برنامجاً كان يستهدف بالدرجة الأولى قضاء الوقت.

بالنسبة لي كان البرنامج اكثر تفصيلاً لاحتياج المدافع إلى الإدامة والإعداد. بمجرد أن وصلت إلى اشنويه، اعطيت الرخصة لبقية الجنود بالعودة إلى بيوتهم. وبدأت بتدريب (20) شخصاً من البارزانيين على استعمال المدافع.

تتكئ بلدة اشنويه على جبل عال مغطى بالثلوج دائماً. كنت اذهب أثناء كل صباح إلى قاعدة الجبل وأمارس الرياضة لمدة نصف ساعة، أعود بعدها أتتناول قليلاً من الفطور، واقضي بقية اليوم في اشنويه، كان الشيخ احمد يسكن داراً من غرفتين، وكانت زوجة الشيخ وأولاده يقيمون في إحدى تلك الغرف. أما الأخرى فكانت تحوى سريراً يجلس الشيخ عليه، وأمامه دائماً كيس صغير من أعواد الخشب يقوم بقصها ونثرها.

كان الشيخ احمد قد اعتاد على ممارسة قص الأعواد بسكين صغير إلى أن تتلاشى، وكانت هذه الممارسة تسلية له، في حين كانت مصدر حكمة لاتباعه.

الشيخ احمد كان إنسانا جيداً وعادياً، بمعنى انه لم يكن سياسياً، كان يتمنى أن يعود بعشيرته إلى بارزان بسلام.

اغلب الأحاديث تدور حول هذه الرغبة في العودة إلى بارزان وكانوا يسردون الذكريات عنها، ويتحدثون عن أعناب بارزان.. عن الزراعة في بارزان وبالأخص عن نيران الشتاء في بارزان.

في الحقيقة، كانت نيران شتاء بارزان، تحرك خواطر جميع البارزانيين، فحينما كانوا يشعلون ناراً كبيرة يتأوهون (آه،انها مثل نيران بارزان).

شخص آخر يمكن الإشارة إليه، وهو شاب بأسم سعيد. وكان شاباً كورديا عراقياً يأتي إلى بلدة اشنويه مرة كل أسبوع. في الحقيقة كان هذا الشاب صلة الوصل بين حزب رزكاري- العراق وعشيرة بارزان. كان الملا مصطفى الزعيم الفخري لهذا الحزب الذي كان يصدر ويطبع بصورة سرية جريدة رزكاري باللغة الكوردية كانت الجريدة تصدر مرة واحدة كل أسبوع. سعيد كان شاباً شجاعاً يحمل معه أعداد هذه الجريدة في زياراته لاشنويه. كان يظهر كل خمسة عشر يوماً. وكنا نعرف وقت مجيئه فقد اعتاد أن يظهر عند الساعة الرابعة أو الخامسة من بعد الظهر وكان النظر إليه ومراقبته وهو يشق طريقه بين الثلوج الكثيفة على المرتفعات الواقعة غرب اشنويه مصدر الهاء آخر لنا.

قبل الغروب كنا نرى سواداً يتحرك وسط بحر من الثلوج، كان يمشي لوحده ويحمل عصاه وهو يشق الطريق عبر الثلوج والبرد. كان يأتي وجيوبه مملوءة بأعداد الجريدة وطلبات وأوامر العمل والرسائل لملا مصطفى ويأخذ إجابات عنها. سعيد كان عادة يجلب النقود أيضا لعشيرة بارزان وبعد أن ينهي أعماله في ليلة واحدة يسرع في الصباح عائداً من نفس الطريق ليضيع بين الثلوج.

على طول مدة بقائنا في كوردستان، كان سعيد في الأغلب زائراً لنا. وعندما اشتعلت الحرب بين الجيش الإيراني والبارزانيين، أقام سعيد بيننا بصورة دائمة، وعبر معنا الحدود إلى العراق. وعند الحدود ذهب إلى العراق بمأمورية من الملا مصطفى، وهناك اعتقل وأودع السجن.

تبين لنا من خلال اتصالنا وتجربتنا مع الكورد. **إن المثقفين بين كورد العراق اكثر عدداً وإيمانا. فهم كانوا قد أسسوا حزباً تقدمياً يمتلك مؤسسات أصولية غير قائم على الأسس القبلية أو العشائرية.** في وقت كانت حكومة كوردستان الوطنية في إيران تتشكل في الحقيقة من عدد من رؤساء القبائل الذين انضموا إلى حكومة كوردستان الحرة وتجمعوا حول قاضي محمد.، رغم وجود حزب أصولي ذي مؤسسات أصولية على صورة مصغرة جداً،

إن قوة حكومة كوردستان المركزية كانت تكمن في قوة عشائر الهركي والمامش والمنكور وأمثالها. **وكان قاضي محمد في الدرجة الأولى زعيماً روحياً يدين له كل بالاحترام.**

أنا شخصياً لم أشاهد قاضي محمد عن قرب. لكني التقيت مع محمد حسين خان وزير حرب القاضي محمد واحد أقربائه. لقد كان إقطاعيا.

كان قاضي محمد قد تحدث لرفاقنا قائلاً: **(اتصل بي بيشه وري تلفونياً واخبرني انه ذاهب. طلب مني أن أتحرك باتجاهه فوراً وان اترك هذا المكان. لكني لا أستطيع مثل بيشه وري أن أتخلى عن أمتي، لا أستطيع من اجل تأمين حياتي أن اترك شعبي وأقول له أمان الله. إن رحلت عن مهاباد، فسيدفع شعبي الثمن من حياته. ولأجل أن أحافظ على هذه الأمة، أنا مضطر للبقاء في مهاباد حتى يأتي الجيش ويقرر النظام الجديد. أنا باق حتى إن لاقيت الإعدام.**

ساعد قاضي محمد الجيش على تمركزه واستقراره، حتى انه ذهب لاستقبال الجنرال همايوني آمر القوة الزاحفة على كوردستان لكي يمنع المذابح. كان الجيش أيضا يهدف من وراء معاونة قاضي محمد أن تستقر أوضاعه ثم يتم القبض على نفوذه، ولهذا لم يعزل قاضي محمد من عمله حتى بعد دخوله إلى مهاباد. لقد بقي قائداً يدير الأمور من مقر قيادته في مهاباد، **حتى ما استقرت أوضاع الجيش قام باعتقاله مع محمد حسين سيف قاضي وصدر قاضي وتم إعدامهم بحماقة، طاب ذكراهم.**

على أية حال، أخلى البارزانيون مدينة نغدة بعد عودة الملا مصطفى من طهران، وتمركزوا في أطراف اشنويه ودشت ويل ومركفر.

كان العقيد غفاري يجري المفاوضات مع البارزانيين، في إحدى زياراته لاشنويه بعد إعدام قاضي محمد تحدث إلينا أيضا وأوضح لنا أن إعدام قاضي محمد وأقربائه هي آخر الإعدامات، ومن الأفضل لنا أن نستفيد من الفرصة وان نسلم أنفسنا ونتخلص مما نحن فيه.

طلبنا نحن ضمانات كافية لقاء قبولنا بتسليم أنفسنا، مثل أن يصدر عفو رسمي من راديو طهران.

حدثت هذه المناقشة بحضور الملا مصطفى الذي وجه غفاري كلامه إليه قائلا حسناً، الأمر بعد هذا يعود إلى السيد الملا مصطفى، فقد وعد في طهران تسليمكم إيانا).

لقد انزعج ملا مصطفى من هذا الكلام وغضب بشدة وحدة فأعترض موجهاً كلامه إلى العقيد غفاري.

(لماذا تكذب؟ قلت ل(شاهكم) سأسلم إليه بدل هؤلاء الشباب الستة، ثمانية عشر شاباً من أولادي. عار على عشيرة بارزان أن تعتقل ستة شباب وتسلمهم لكم).

من اجل إقناعنا بالاستسلام قام العقيد بيكلري أيضا بمحاولة أخرى، بيكلري كان آمر القوة التي جندت لمحاربة البارزانيين، وكانت لي معرفة به منذ أن كان قائداً للفرقة الثامنة خراسان. وهو أيضا كان يعرفني جيداً وأراد أن يستفيد من هذا التعارف لإقناعنا بالاستسلام .

كان هناك خط تلفوني صحرائي بين نغدة واشنويه. هذا الخط كان في خدمة الشيخ سليمان ابن أخ الشيخ احمد، الحقيقة كان الشيخ سليمان يعد وزير خارجية الشيخ احمد، فقد كان رجلاً ذكياً وكان يجيد اللغة الفارسية إجادة تامة.

ذات يوم طلبني الشيخ سليمان قائلاً إن العقيد بيكلري يريد التحدث معك. أثناء المحادثة التلفونية ذكرني بيكلري بمعرفتنا السابقة وطلب أن نستسلم للجيش، ووعدنا بالحرية والمساعدة من جانبه، واقسم بالشرف أن يعمل على تحقيق حريتنا. ثم هددنا إن أضعنا هذه الفرصة. اعتذرت عن قبول ترجياته ذلك لان وعوده الشخصية لا تكفي ضماناً لحياتنا وجواباً على التهديد قلت **(نحن ندافع عن أنفسنا ولدينا مدفعان اثنان، ثق إن أصابعنا لن تهتز على الزناد).**

حدث ذلك في يوم 21 اسفند من عام 1325، ولم يكن قد بقي على الهجوم الشامل للجيش ومن جميع الجهات غير ثلاثة أيام.

كما قلت كان الطرفان، الجيش والبارزانيون، يعدون أنفسهم للمواجهة. فقد قام الجيش بتسليح بعض العشائر الموالية للدولة وأهمها عشيرتا مامش ومنكور، **حيث كان رؤساء العشيرتين يتسلمون أموالا من الدولة ويقفون إلى جانبها في أغلب المصادمات.** بالإضافة إلى ذلك تحركت وحدات إضافية من الجيش من مناطق أذربيجان واستقرت في أطراف المواقع التي يسيطر عليها البارزانيون. بالمقابل كان البارزانيون يقومون باستحكام مواضعهم للدفاع عن النفس، حيث كانوا يودون اغتنام الفرص لحين تحسن حالة الجو للخروج من إيران.

أولى الضربات التي أنزلتها قوات البارزانيين، كانت تلك الضربة القاصمة التي تلقتها عشيرتا مامش ومنكور. فعندما وردت الأنباء إلى البارزانيين أن ((السادة رؤساء)) مامش ومنكور قد اجتمعوا قرية صوفيان مركز ناحية لاجان لعقد التحالف ضد البارزانيين. أخذ الملا مصطفى بعضا من مسلحيه وأتخذ الطريق نحوهم. في الصباح وردت الأخبار أن الملا مصطفى اقتحم مجلس اجتماعهم في قرية صوفيان فجأة وشتت شملهم وأعتقل عدداً منهم كما اغتنم بعضاً من سلاحهم جلبها إلى اشنويه.

بالإضافة إلى ذلك ذهب الملا مصطفى إلى منطقة عشيرة الهركي وتحدث مع رؤسائها وأخذ منهم عهداً بأن لا يدخلوا الحرب ضده.

كما قام البارزانيون بتخزين بعض المواد الغذائية في إشنوية تلافياً للجوع في حالة اندلاع الحرب.

يجب أن تعرف أن الكورد بصورة عامة لم يكن يرغبون في محاربة البارزانيين، ذلك لان البارزانيين رجال مقاتلون يمتلكون الشجاعة في الحرب، وثانياً لان العشائر الكوردية تشعر برابطة داخلية فيما بينها، فلم تكن مستعدة أن تقاتل بعضها البعض.

حتى الكورد الذين حملوا سلاح الجيش ضد البارزانيين، كانوا يتصلون خفية بملا مصطفى أثناء المعارك، ويطلعونه على وقت ومكان الهجوم. وحالما يقابلونه في معركة ما يلوذون بالفرار بعد قتال وهمي.

كان البارزانيون قد دخلوا إيران مع عوائلهم، وكانوا في حدود(10.000) عشرة ألف نسمة، منهم حوالي(2500) مقاتل،مات العدد الكثير منهم برداً وجوعاً، حتى اصبح لهم في اشنوية مقبرة باسم **مقبرة البارزانيين.**

التنظيم الإداري للعشيرة، كان مبيناً على أساس سلسلة مراتب الشيوخ، لم يكن لهم تنظيم عسكري حزبي. الشيخ احمد كان على رأس العشيرة، ومن بعده يأتي أشقاؤه، وكل واحد منهم كان مسؤولا عن جبهة معينة أو طرفاً من الجبهة. بعد هؤلاء يأتي أبناء الشيوخ وكانوا يتولون مسؤوليات اصغر. ويلي أبناء الشيوخ في المرتبة والمسؤولية عدد آخر من أقربائهم و المقربين إليهم ممن يمتلك صفة الجدارة القتالية واثبت مقدرته وكفاءته في الحروب.

عند كل صباح، وفي الساعة الخامسة أو السادسة، كنا نذهب إلى ضفة نهر اشنوية لممارسة الرياضة الصباحية، وكالعادة خرجنا يوم 24 اسفند،وكنا على ضفة النهر حين دوت انفجارات قذائف مدفعية الجيش الإيراني. لقد فتح الجيش نيرانه بصورة مفاجئة على قرية (سنكان) الواقعة على طرف نهر (كادر) باتجاه اشنوية وبمسافة بضعة كيلومترات. فتح الجيش نيرانه من الطرف الآخر للنهر حيث كانت مواضعه على هذه القرية التي كان البارزانيون يحتفظون فيها بقوة صغيرة من سبعة أو ثمانية رجال مسلحين بأسلحة خفيفة مع رشاشة واحدة.

كانت قرية (سنكان) في موقع يشرف على مدينة اشنوية، ولهذا فأن سقوطها، كان يعني سقوط اشنوية الحتمي.

تحرك فرسان المامش والمنكور بقيادة ملازم ثاني في الجيش الإيراني و بإسناد مدفعي مكثف لاحتلال (سنكان) وتطهيرها من القوة البارزانية المدافعة.

توالت انفجارات قذائف المدافع، فانتبهنا إنها بداية ما كان ينتظرنا من أحداث. فمع أن الجيش لم يكن يملك سبباً لشن الهجوم على البارزانيين الذين لم يكونوا يقصدون الدفاع عن أراض لا تعود لهم، وإنما فقط ينتظرون نهاية برد الشتاء للرحيل إلى جهة أخرى، إلا أن هذا الهجوم ضد البارزانيين لم يكن مفاجئاً إلى حد كبير.

جمعت فوراً عدداً من رجال الكورد الذين كانوا تحت إمرتي في استخدام سلاح المدفعية، ووضعت المدفعين على الطريق مهيأة للحركة، وتوجهت إلى الشيخ أحمد الذي كانت علاقتي به على نحو أتمكن أن أزوره في بيته في أي وقت ودون مواعيد مسبقة. رأيت الشيخ احمد في بيته وهو يفكر فيما حدث وأبلغني بأنه أرسل الشيخ سليمان إلى قرية سنكان للدفاع عنها، كما طلب مني أن أذهب هناك أيضا لمساعدته. كان الملا مصطفى حينذاك في منطقة مركفر، وكان الجيش قد شن الهجوم عليه أيضا من ناحية الرضائية.

أخذت المدافع إلى سنكان، وأعددتها للرمي. أول ما فكرت به هو إسكات مدفعية الطرف المقابل. وذلك لان القصف المدفعي شيء مرعب بالنسبة لمن يتعود عليه.

وكان القصف الذي قام به الجيش قد ترك أثراً عميقاً في نفوس الرجال.

حين وصولنا إلى سنكان، كان فرسان مامش ومنكور يهبطون من صفحة الجبل المقابل وباتجاه نهر كادر.

لاحظت أن الفرسان لازالوا بعيدين عنا فراقبتهم عن كثب، بينما أطلقنا أول قذيفة باتجاه مدفعية الجيش، فظهر أن الرعب الذي أصاب الجنود تسبب في إسكات مدفعيتهم .

انتظرت الفرصة المناسبة لإنزال الضربة الثانية، وحرصت أن تكون الضربات مؤثرة بشكل يقصر من أمد المعركة، وفي النتيجة تلافي المزيد من الخسائر.

كنا في الحقيقة نستهدف تخويفهم وإجبارهم على الفرار فقط.

كان نهر كادر يفيض بالمياه.وانتظرت حتى يتجمع اكبر عدد من المهاجمين على طرف النهر، حيث تترد الخيول كثيراً قبل أن تعبر النهر، وهنا لابد أن يتجمع الفرسان بعضهم حول البعض.

وهذا ما حدث فعلاً، وحينذاك مررت قذيفة أخرى فوق رؤوسهم و تركتها تنفجر بعيداً عنهم. فلم اكن أود قتل أي منهم.

لقد أوجد دوي القذيفة و انفجارها رعباً في نفوس المامش والمنكور، فاعتلوا ظهور أفراسهم وساقوها نحو أعلى الجبل. بعد ذلك لم يظهر اثر لأحد أفراد المامش والمنكور ليس في هذه المعركة فقط، وإنما طيلة أيام الحرب الأخرى. ومع فرار الفرسان واظبت على تفجير القذائف على أطرافهم لإجبارهم على ترك ساحة المعركة نهائياً، حتى لم يبق فيها أحد منهم.

بهذه الصورة، انتهت الحرب في هذه المنطقة بمثل ما بدأت به، وما أن حلت الساعة التاسعة من صباح نفس اليوم حتى كان كل شيء قد انتهى.

أمدتنا اشتعال الحرب بمعنوية في أنفسنا ذلك لان البضعة اشهر التي قضيناها ونحن من غير أي عمل، جعلتنا نعتقد أن الحرب ستقرر مصيرنا، فأما أن نقتل أو ننجو بأنفسنا. على أية حال كان الشيء الأفضل لنا هو الإسراع.

بعد هذه الهزيمة الأولية، استقرت طلائع الجيش في قرية باسم (نه لوس).

وبدأنا نخطط للهجوم على هذه المنطقة التي كان يقاتل فيها حوالي عشرين مسلحاً من البارزانيين ضد الجيش. عند الليل نقلنا المدفعين إلى قرية صغيرة باسم (كندوله)، كانت (نه لوس) تتراءى أمامنا عندها وبقيت انتظر الفرصة.

أما الفوج الذي قصف بمدافعه قرية سنكان والذي كان مقرراً له أن يتقدم في أعقاب الفرسان المحليين، فقد أصيب بالحيرة وأخلى نه لوس بعد أن تفرق فرسان مامش ومنكور، وانتقل ليستقر بمواضعه على سطح إحدى التلال وراء نه لوس يشرف على سهل اشنويه، وبذلك حرم نفسه من الماء وابتعد عن مركز أرزاقه الواقع هناك.

اتخذ الرائد كلاشي آمر الفوج مساحة على سطح التل بشكل مربع وأمر جنوده بحفر الخنادق ضمن محيط أضلاع المربع هذا. كما وضع مدافعه في مركز المربع ذاته.

صباح ذلك اليوم، كانت الشمس مشرقة. وكانت الأرض قد جفت من مياه الأمطار، على أنها كانت لا تزال رطبة بشكل كانت الخنادق المحفورة تظهر على شكل سواد من بعيد. بهذه الصورة

كان هدفنا واضحاً بالكامل، وكنت اشخص الهدف جيداً على بعد (9) كيلومترات حيث مواضع مدافعنا.

كان الفوج يتشكل من حوالي (300) جندي، ويمتلك عدداً كبيراً من الخيول والبغال، وله رشاشات ثقيلة وست مدافع هاون مع مقادير من المؤن. كان قد وضع كل هذه التجهيزات والأرزاق والأسلحة ضمن مساحة المربع الذي يستقرون عليها، في الحقيقة كان الجيش يعيش في خوف وحيرة وهذا ما تأكد عند اطلاعنا على التقارير الفوج في الأرشيف الذي وقع في أيدينا بعد اسر الفوج. كان الفوج في الحقيقة قد حرم نفسه من الإمكانات المحلية وخاصة الماء بإخلائه نه لوس. وكان قد مضى على الجنود (24) أربع وعشرون ساعة وهم يعانون انعدام الماء مع إن نهر كادر كان يجري تحت أقدامهم إلا انهم لم يكونوا يتجرأون الوصول إليه.

حينما أخلى الفوج قرية نه لوس احتلها دون مقاومة العشرون مقاتلاً من البارزانيين المذكورين، واتخذوا مواقعهم على المرتفعات المحيطة بمقر الفوج، وكانوا في كل مرة يفتحون النار عليه من زاوية، مما تصور الجنود انهم محاصرون من كل جهة وإلى حد لم يتجرأوا حتى الذهاب إلى (صوفيان) الواقعة وراء الجبهة حيث المركز العام لتجهيزات الجيش، في حين كان الطريق إليها آمناً وكان بإمكانهم الوصول إليها حتى بسياراتهم.

تمركز قوات الفوج على سطح هذا اليل جلب انتباهي. فقررت أن انقل مدافعي إلى اقرب نقطة منها وان أكون مشرفاً عليها. كان العمل يحتم أن انقل المدافع وسط سهل وأمام أنظار القوات، وتم ذلك بفضل ما كانت القوات تعيشه من حيرة واضطراب.

نصبت المدافع بجوار قوات الجيش على طرف التل وبدأنا بالقصف. لقد أصابت قذيفتنا الثانية مركز المربع وانفجرت وسط مدافع الفوج. وبمجرد انفجارها تلاشى الفوج ولم يبقى له شيء. شاهدتهم من خلال الناظور، فرأيت الأعداد الكثيرة من البشر والحيوانات كل يهرب إلى ناحية محاولاً الانقاذ بجلده.

أردت إعاقة هروبهم والحيلولة دونها، فأطلقت القذائف وتركتها تنفجر أمامهم، وهكذا أجبرتهم على العودة إلى وسط المربع. فصعد أحد أصدقائنا وهو محمود توكلي التلة مع عشرة بارزانيين واسروا الفوج بكامله دون أن يتمكن شخص واحد من الهرب. اعتقلوا الجميع وساقوهم باتجاه اشنويه على صورة أسرى الحرب. **[في الحقيقة يتحدث الكاتب في اغلب المواضيع وعند التطرق إلى سير المعارك عن مساهماته فحسب، دون تباين دور المقاتلين البارزانيين الذين كانوا يديرون المعارك، ففي هذه المعركة بالذات، لم يستسلم الفوج بالسهولة الواردة أعلاه، وإنما جرى قتال شديد وملحمي بين البارزانيين وأفراد الجيش الإيراني، وقدم البارزانيون ستة شهداء. وهم سليمان زازوكي وصالح مصطفى وإبراهيم ملا حميد وعمر احمد وإبراهيم نافخوش وحال بايزدين (المترجم. تيلي أمين].**

لم يصب الفوج بخسائر جسيمة ذلك أننا حرصنا قدر الإمكان أن لا نصيب أي واحد من قواته، ولكن الرائد كلاشي أصيب بجرح بالغ عند الوهلة الأولى من المعركة، وتوفى على إثره.

فيما بعد وعند إجراء محاكمتي كانت إحدى التهم الموجهة لي، هي قتل المرحوم كلاشي. يقال لا يوجد قاتل ومقتول أثناء المعارك.

في هذه المعركة تم اسر (7)سبعة ضباط و(17)ضابط صف وحوالي (300) ثلاثمائة جندي. كما تم اغتيال كل أسلحة الفوج.

بعد هذه المعركة، أصبحت شهيراً بين الكورد، ولم يكن بعيداً لو طالت هذه المعارك لعدة سنوات، أن اصبح أحد زعماء العشيرة.

كان البارزانيون يقولون (إن شيخ بارزان هو الذي بعث إلينا بالنقيب تفرشيان، وإنها معجزة أن تتحطم كل مدافع العدو بقذيفة واحدة) شيئاً فشيئاً اصبحوا على اعتقاد انهم ومتى ما وقعوا في ضيق أو واجهوا شدة، فيكفي أن تصل قدماي هناك لمعالجة الأمر. لم يكن لهم اطلاع أو معرفة بإمكانية وقدرة سلاح المدفعية. علاوة على ذلك اصبح استخدام اسمي بالنسبة إليهم مخرجاً لحل الكثير من المشاكل فيما بعد. فمثلاً حينما كانوا يدخلون إلى قرية وهم جائعون يطلبون احتياجاتهم باسم (ضابط طوب)، ضابط طوب يطلب الخبز، أو يحتاج إلى البيض أو الدجاج..

على أية حال اصبح ضابط طوب رمزاً لقدرتهم. أيضا يعاملونني باحترام صميمي وعميق. كانوا يقدمون لي افضل غذائهم. واحسن مكان للنوم، وكانوا كلما ذهبت يأتي في حراستي (10-15) رجلاً منهم دون أن يطلب أحد منهم ذلك.

في نفس الوقت بعث هذا الانتصار النشوة في نفوس البارزانيين. فكانوا يأخذونني باستمرار إلى الجبهات المختلفة للسيطرة على هذه القرية أو المنطقة أو هذا الموضع.

وفي الوقت الذي كانت فيه السيطرة على هذه المواضع عديمة الفائدة، لكن إقناعهم أيضا كان ممكناً بعد جهد.

كنت أحاول إفهامهم، وبالأخص إقناع شيوخهم بأنه يجب علينا فقط الدفاع عن أنفسنا وان نتجنب المصادمات العقيمة وانتشار قواتنا هنا وهناك. علينا الدفاع حتى يحين الوقت للانسحاب باتجاه العراق حيث كانوا يرغبون العودة إليه.

ذات مرة حاولوا عبثاً السيطرة على قرية صوفيان المركز العام لتجهيزات وإمدادات الجيش. طبعاً كانت المحاولة عقيمة، لكنها كانت ذات فائدة بالنسبة لي شخصياً، فحتى ذلك الحين لم تكن قذائف المدفعية قد انفجرت بجواري. في الحقيقة كنت أخشاها حتى ذلك اليوم.

في هذه المعركة كنت أساند الهجوم بالقصف المدفعي من خندق احتمي به. لكن الجيش اكتشف موضعي فركز القصف عليه.

كانت دوي القذائف وأصوات انفجارها الشديد شيئاً مرعباً، يتخيل المرء أن كل قذيفة تنفجر في رأسه بينما تسقط بعيداً عنه بمسافة مائتي متر.

في البداية أصابني خوف شديد، ولكن بعد انفجار عدد من القذائف بالقرب مني، تعودت عليها وأصبحت لا اشعر بالخوف منها. مما مكنني أن اخرج من موضعي وانتقل بمدافعي والأشخاص الذين كانوا معي إلى منطقة اكثر أمنا.

كانت هذه المعركة قد وقعت في الأول من شهر فروردين، أي في يوم عيد نوروز لعام 1326. وكنت في الموضع حينما حل العيد وشاركت في العيد بإشعال نار المدفعية.

كنت مقتنعاً أن الاحتفاظ بالمنطقة، شيء غير منطقي ولذلك تحركت بالمدافع باتجاه بلدة اشنويه واقترحت على الشيخ سليمان أن نخلي المنطقة أساسا، ذلك لان شهر فروردين كان قد حل بيننا وستبدأ الثلوج بالذوبان، ولأننا سنعطي المزيد من الخسائر كلما بقينا في المنطقة. على أن الشيخ سليمان لم يكن يستطيع أن يقرر ذلك حتى وان كان قد شاركني في الرأي أو قبل اقتراحي، فأوصاني

الذهاب إلى (كيلاس) وهي منطقة مستحكمة يتواجد فيها الشيخ احمد لحمله على اتخاذ القرار بشأن ذلك.

قبل ذلك أعود للتحدث عن الأسرى. فكما بينت فيما سبق، كان توكلي قد أخذهم إلى اشنويه وأسكنهم في المسجد. صباح ذلك اليوم، ذهبت إلى اشنويه لمشاهدتهم. كان الضباط قد ارتدوا ملابس الجنود لكي لا نتعرف عليهم. ولكن وقع نظري من بين الجنود على الملازم أول كمالي الذي كنت اعرفه منذ أيام الكلية العسكرية حيث كان في السنة الأولى من دورتي.

حينما ناديت باسمه، اندهش في البداية، ثم تقدم نحوي وقبلني باحترام. لقد اعترضت عليه ارتداءه ملابس الجنود، فأخبرني انه فعل ذلك خوفاً من الكورد. هدأته وطمأنته أن الكورد لن يتعرضوا للأسرى، ويجب فصل الضباط عن الجنود.

فقام الضباط الآخرون وعرفوا أنفسهم، من ضمنهم قدم أحدهم نفسه قائلا :(خادمك خدا دوست) فضحكت وسألت عن رتبته العسكرية قال (مولاي الرتبة ليست مهمة. في الجيش يقال لي نقيب، لكني طبيب ولا فرق عندي بين الصديق والعدو، خادمك طبيب فقط) فقلت له :(يا خدا، ليس هناك ما يستدعي أن تجعل من نفسك خادماً، لقد حصل ما حصل وستعودون إلى بيوتكم وتعيشون حياتكم عن قريب) قال لي كمالي : (انك تعرف أن ما أقدمنا عليه هو الجري وراء الخبز. فلأجل إعالة أنفسنا وطلبا للعيش ذهبنا وأصبحنا ضباطاً. كنت أرجو الله أن اقضي هذا الشتاء جانب عائلتي حول الموقد، مالنا والقتال؟.

لقد اشتكوا إلي أيضا من سوء المكان وندرة الطعام، فذكرت لهم أن البارزانيين أنفسهم لا يملكون الطعام الكافي وأنا شخصياً اقضي الليل بقليل من الخبز أو شيء من الحنطة المقلية، وحتى ذلك نفتقده أحيانا.

في تلك الليلة أخذت الضباط عندي وفي صباح اليوم التالي تحدثت مع الشيخ احمد حول الأسري وطلبت منه أن نحرر المراتب من الأسر ذلك لان الجيش ليس ضعيفاً من حيث إعداده إلى حد أن يؤثر في قوته هؤلاء الجنود فيبعث بهم للقتال مجدداً، هذا أولا وثانياً فقد أصيب هؤلاء برعب وهلع لا يمكن معها أن يعودوا إلى القتال مرة أخرى. بالإضافة إلى ذلك نحن لا نملك الخبز والماء لأنفسنا حتى نقدم لهؤلاء. بالنتيجة اقتنع الشيخ احمد، وفي نفس اليوم أخذهم صديقنا جواد ارتشيار إلى منطقة قريبة من معسكر الجيش وأخلى سبيلهم.

وبذلك بقي معنا الضباط فقط، كانوا يعيشون معنا ولكنهم كانوا قد تجردوا من معنوياتهم بالتمام والأخص النقيب ذاته خدا دوست.

فعلى سبيل المثال، أخذنا هؤلاء الضباط معنا عندما أخلينا اشنويه وانسحبنا عنها. في الطريق ظهرت فوقنا إحدى الطائرات العسكرية. فالتمس مني النقيب خدا دوست أن أوصي الكورد بإخفاء بنادقهم خشية أن تنتبه الطائرة لوميض معادنها فتقوم بالقصف. لقد قال (يجب عليكم من ناحية الضمير أن تحافظوا على حياتنا، ونأسف لان نقتل من اجل لاشيء).

قد يكون مفيداً أن تعرف أن هذا (الخادم) كان الضابط الوحيد الذي تقدم فيما بعد ليشهد علينا أمام المحكمة ويرد الأساطير عن جناياتنا، في حين قال العقيد بيكلري أمر القوة، في المحكمة وكان قد اصبح عميداً (شخصياً لم أشاهد هؤلاء السادة في المنطقة. لكن كان يشاع انهم يقاتلون الجيش إلى جانب البارزانيين، على أية حال وحتى إن صح ذلك فانهم لا زالوا شباباً يافعين).

حينما وصلت إلى كيلاس، كان هناك أيضا الملا مصطفى وشيخ طه رئيس عشيرة الهركي. في مجلس بحضور الشيخ احمد قلت إننا لازلنا لا ندافع عن قضية معينة وما يهمنا هو الدفاع عن أنفسنا فحسب، عليه من الأفضل أن ننسحب من اشنويه إلى منطقة اكثر أمناً. ووضحت لهم بأن أفراد عشيرة بارزان لا يقاتلون بمعنويات الأيام الأولى لأنهم لا يملكون سبباً للقتال والدفاع عن منطقة. انهم يدافعون عن نسائهم وأطفالهم ويمكن أن ينتقلوا بها في أية لحظة .

تمت الموافقة على وجهة النظر هذه. وبطلب من الملا مصطفى تقرر أن انقل المدافع إلى منطقة مكفر.

بعد أن تم تخريب مدفعين كنا قد غنمناهما من الجيش انسحب جميع البارزانيين عن اشنويه. ودخل الجيش إليها في صباح اليوم التالي.

حتى ذلك اليوم لم يكن لدى البارزانيين خطة أو هدف معين، ولكن منذ ذلك التأريخ تحدد برنامج العمل، بالحرب والانسحاب لتأمين طريق العشيرة في الانسحاب نحو الحدود العراقية.

أنا أيضا كنت مع المقاتلين البارزانيين في مركفر أسير على نفس النهج. القتال والفرار لحماية العشيرة والوصول بها إلى الحدود.

على هذه الصورة أخذت الحرب حالة اغتنام الفرص لم يكن هناك سبب للهجوم من جانبنا. كان أسلوب القتال والفرار هو الأسلوب الناجح في مثل هذه الظروف من عدة نواحي .

في إحدى الليالي كنت جالساً مع الملا مصطفى في مقره فوق جبل (شيركان) في مركفر نبحث في خطة عمليات اليوم التالي. استمرت المناقشات حتى الساعة الرابعة صباحاً.

قبل طلوع الفجر بوقت قصير لاح لنا من بعيد شبح اسود، وعند اقترابه ظهر انه أحد أفراد عشيرة الهركي.

كان قد أتى بخبر عن استعداد الجيش للهجوم، وأوضح انهم حوالي مائة فارس مع الجيش وقد تقرر الهجوم عند الصباح. وقال ولكن **ولأننا لا نرغب في قتال إخواننا الكورد،** فما عليكم إلا إلقاء عدد من القنابل اليدوية على هذا الوادي القريب الذي نستقر فيه، وبعد نصف ساعة من الآن. سنهرب نحن طبعاً، وانتم تعرفون ماذا تعملون مع الجيش.

كانت هذه المرة الثانية التي أشاهد فيها بعيني مثل هذا الموقف.

المرة السابقة كانت حينما كنت مع محمد أغا أحد شيوخ بارزان في (قلاتان) أو (قلعة تان) بمنطقة اشنويه، أتى إليه فارس وبعد أن تحدث معه رجع لسبيله. قال لي الآغا إن الفارس الذي رأيته من العشيرة الفلانية وقد قال انهم بحدود (300) ثلاثمائة فارس في النقطة الفلانية ويطلبون منا أن نرمي باتجاههم قذيفتي مدفع لافتعال مبرر لهروبهم.

وفعلاً هذا ما حدث.

حين تجد هذا السلوك من الكورد وتضيقها إلى ما سبق أن قلت **تستطيع أن تفهم جيداً مدى تعاونهم واستعدادهم للحرب مع الجيش. لقد شاركت في تقريباً في جميع ميادين القتال في تلك الأيام، وما عدا الهجوم الأول لعشائر المامش والمنكور على سنكان لم أشاهد قط بعد ذلك، الكورد يقاتلون بجدية إلى جانب الجيش.**

طبعاً سمعت فيما بعد انتصار الجيش إن الكثيرين من رؤساء العشائر اظهروا أنفسهم كأبطال حرب وعملوا الكثير لأجل أن يثبتوا للدولة ولاءهم. **لكن في المواقع الفعلية لم تكن الجماهير الكوردية، الأصلية منها على الأقل مستعدة لمقاتلة إخوانها الكورد.**

على كل حال بدأ الجيش في صباح تلك الليلة هجوماً منظماً إلى حد كبير لكن وقبل الهجوم وحسب الاتفاق الذي تم أثناء الليل هرب فرسان الهركي من الجبهة بعد إلقاء عدد من القنابل اليدوية باتجاههم.

للمرة الأولى وجدت الجيش يشن الهجوم على نحو منظم جداً.

في البداية قصفت الطائرات مواقعنا ثم انهال القصف المدفعي بعد ذلك تحركت الدبابات ومن ورائها قوات المشاة.

كانت الطائرات توفر الغطاء الجوي لحماية هجوم الجيش من على ارتفاعات منخفضة لكن مواقعنا كانت مستحكمة جداً وكنا نشرف على الجبهة كاملاً. مجموع البارزانيين في هذه الجبهة كان بحدود (30-40) مقاتلاً، وكان قد تقرر أثناء الليل وحتى قبل بدء هجوم الجيش إخلاء المنطقة، وموعدنا كان حسب قول الكورد (شاخ-القمة) التالية بعد أن نؤخر تقدم الجيش لأربع وعشرين ساعة لتمكين العشيرة من نقل أمتعتها والانسحاب عن المنطقة .

في الليلة التالية حينما وصلت إلى (شاخ) أي القمة الأخرى لاحظت مائة موقد في موقعنا السابق يشتعل فيها النار، وتصورت أن البارزانيين وخلاف القرار لم يخلوا المنطقة. لكن حينما وجدت الملا مصطفى واستفسرت منه عن الموضوع قال، إننا اسحبنا من الموقع فعلاً، ومواقد النار هذه ما هي إلا خدعة، فالجيش سيتصور أن حول كل موقع يجتمع (10) عشرة مقاتلين، وبذلك يظن أن مجموعنا هناك يبلغ (1000) الألف مقاتل.

وغداً سيكتشفون بعد حيرة انهم كانوا يقاتلون ضلالنا فحسب استمر هذا التاكتيك اعني القتال والانسحاب، إشعال النار والفرار، حتى تمكنت العشيرة كلها من إخلاء مركفر.

بعد أن قضينا في مركفر أربعة أيام استدعاني ذات ليلة الملا مصطفى إلى جلسة حضرها جميع مسئولي الجبهات ومن ضمنهم الشيخ محمد صديق. وبعد مناقشات طويلة حول وضع الجبهات وأحوال العشيرة تقرر: اجتناب المواجهة إلى اقل حد، اجتناب صرف العتاد لأقل حد، الحصول على اكبر كمية من الأرزاق، والانسحاب باتجاه نهر كادر.

كان الملا مصطفى مسؤول القوات، وكنت إلى جانبه.

ما يثير الدهشة في هذا الانسحاب هو ما شاهدته من مقدار تحمل البارزانيين للصعاب. فقد بدأت الحرب في 24 اسفند ونحن الآن في 20 فروردين من العام التالي. وقد صعدنا سلسلة جبال زاكروس بموازاة الحدود العراقية، كان سمك الثلج يزداد كلما صعدنا أكثر في بعض المناطق وصل إلى حوالي المتر وكان قد تجمد في اغلب النقاط أما الريح فقد كان بارداً جداً لم تستطع بعض من بغالنا من عشية ليلها حتى الصباح حيث تجمدت من البرد.

لكن هذه الظروف والأحوال كانت تبدو اعتيادية بالنسبة للبارزانيين. فقد كانوا ينقلون نسائهم وأطفالهم من مكان لآخر ينصبون الخيم يعدون الخبز، وبعد ساعات قليلة من الاستراحة يسلكون الطريق من جديد. هذه الظروف كانت بالنسبة لنا غير قابلة للتحمل.

في الواقع كان الضباط الأسرى عبئاً إضافيا فوق أكتافنا. لم نكن نملك الطعام لأنفسنا، لكن الضمير يجبرنا أن نحافظ عليهم اكثر من محافظتنا لأنفسنا. فتحدثت بشأنهم مع الملا مصطفى وحصلت على موافقته بإطلاق سراحهم. كما تحدثت للشيخ احمد عن موضوعهم.

وحدث في ذلك الوقت، أن حضر بيننا (سيد)من أهالي زيوة للتباحث مع الشيخ احمد بتفويض من الجيش.

فتقرر أن نسلم الضباط الأسرى إلى هذا السيد لأخذهم معه.

خلال تلك الأيام التي أتحدث عنها الآن كانت يد الجيش قاصرة عن تناول البارزانيين. لكن الطائرات كانت تؤذينا كثيراً.

فالمنطقة كانت مغطاة بالثلوج، وكان اثر عبور القافلة يترك سواداً على صفحة الثلج. وهذا الخط الأسود كان يشكل دليلاً للطائرات لتعقيب مسيرتنا وفتح رشاشاتها علينا أثناء الحركة أو الاستراحة. بذلك كانت الطائرات قد أوجدت رعباً، رغم أنها لم تكن تشكل خطراً على المقاتلين في مواضعهم، لكنها كانت تمطر ويلاً على النساء والأطفال وتصيب الأبقار والأغنام بأضرار جسيمة.

عموماً لم يكن البارزانيون يطلقون النار على الطائرات، فقد كانوا قد أدركوا وعن طريق التجربة، إن إطلاق النار عليها من البنادق لا ينجم عنه شيء غير هدر الأعتدة. بذلك كانت الطائرات تملك رقاب السماء وتطير على ارتفاعات منخفضة جداً وإلى حد تشخيص الطيارين.

في الأخير بعد مذابح عديدة أمر الشيخ احمد جميع المقاتلين إطلاق النار على الطائرات حال ظهورها.

في أول غارة بعد ذلك. أمطر المقاتلون البارزانيون، طائرة عسكرية بنيرانهم، وحدث أن أصيبت الطائرة فابتعدت عنا وشيئاً فشيئاً انخفضت نحو الأرض، ووسط حيرتنا وغاية سرور البارزانيين تهاوت محترقة وسقطت في سهل مركفر لتحرق بلهيبها طيارها.

منذ ذلك اليوم أصبحت الطائرات تحلق على ارتفاعات عالية وتسقط قنابلها على أهداف غير محددة.

في اليوم الذي تقرر فيه إخلاء سبيل الأسرى الضباط، احتفظ الشيخ أحمد بأحدهم رهينة عنده، وهو، **الملازم الثاني جهانباني، كان هذا الضابط ابن قائد الفرقة أمان الله جهانباني.**

لقد ظن الشيخ احمد انه باحتفاظه بهذا الأسير يجبر آمر الرتل على اتخاذ الحيطة والحذر في القتال فكتب رسالة لآمر الرتل وهدده فيها بقتل الضابط الأسير ذا عادت الطائرات مجددا لقصف النساء والأطفال. كنت اعتقد أن هذا الإجراء لن ينجم عن شيء مفيد، فإذا اقتضت مصلحة الجيش شيئاً لن يولي الأهمية لحالة هذا الضابط. لكن ظهر أن الإجراء كان مفيدا فعلاً فالطائرات تركت نهجها السابق في القصف الوحشي، أما نتيجة ذلك التهديد أو في الواقع خوفا من الإصابة، واكتفت بالتحليق عالياً ولأغراض استكشافية فحسب. رلم يتركنا قصف الطائرات دون نصيب. فقد أصابت شظية قنبلة فخذ صديقنا (عزت علي اصغري).وقد اجبره الجرح على ملازمة الأرض وأجبرنا ذلك على حمله.

لقد كان حمل جريح يتألم وسط الثلوج والبرد وفي منطقة جبلية صعبة العبور، مصيبة بحق. كان ألمه شديداً إلى حد لم يكن بمستطاعنا حمله بأية صورة. في البداية أركبناه إحدى البغال فوجدناه لا

يحتمل الألم. فحملناه على ظهرنا لكن صراخه ارتفع إلى السماء. في الأخير اعددنا نقالة من بطانية وبندقيتين وحملناه فوقها لكنه كان يشكو أيضا ولم يكن لنا حيلة أخرى.

عند اقترابنا من الحدود، راجعت الملا مصطفى بشأنه فعرفنا على شخص كان يبدو انه جراح العشيرة ويملك من وسائل الجراحة ملقطا لقد ادعى السيد الجراح انه يتمكن من إخراج الشظية خلال غمضة عين إذا تحمل الجريح الألم. لم نكن نملك طريقاً آخر، فأمسكنا بأيدي وأرجل صديقنا المجروح وتركنا فمه مفتوحاً اخرج السيد الدكتور ملقطه من كيس التبغ وبلله بلعابه ثم تقدم نحو الجريح. وبعد فترة من (الحفر والحرث) ارتفع فيها صراخ الجرح، سحب الملقط.

في الصباح وجدنا رجل رفيقنا قد تورم واصبح بقدر (مخدة). لم نر سبيلاً لعلاجه كان الحل الوحيد إرساله إلى العراق، فعبرناه إلى الجانب الآخر من الحدود، والتقينا به بعد في سجن أبو غريب في بغداد.

بالإضافة إلى البارزانيين، كان الطابور المنسحب يحتوي أيضا على أناس آخرين، منهم أفراد كانوا قد انضموا إلى فرقة ديمقراط آذربيجان، ففضلوا الهروب خشية من الحكومة المركزية أو من انتقام الانتهازيين. ومنهم بعض الكورد الذين لم يكونوا يشعرون بالأمان في إيران، وكانت لهم مصالح مادية في العراق. رأحد هؤلاء كان شخصاً يدعى الشيخ طه هركي، الذي كان يملك ثروة في العراق، وقد انسحب مع البارزانيين بصحبة عدد من أفراد عشيرته. ويقال انه كان متعاوناً مع قاضي محمد. على كل حال لم يكن شخصاً سيئاً.

كان ضمن هؤلاء الكورد أيضا عدد من المجرمين المحترفين دفعهم الخوف من العقاب الهروب من إيران، على رأس هذه القائمة كان شخص يدعى (زيروبك).

زيرو بك هذا كان خادماً لعائلة هركية عراقية وكانت لهذه العائلة أملاك في إيران يشرف زيرو بك على إدارتها.

وقد جمع زيرو بك سبعة أو ثمانية أنفار وشكل عشيرة جديدة، حتى انه سمي عشيرته باسم (بهادر) ونصب نفسه رئيساً لها.

منح زيرو بك لنفسه رتبة عقيد أثناء عهد حكومة كوردستان الوطنية، واتخذ من (بالانوج) مركزاً له، وهناك استولى على بساتين وأملاك واسعة.

تقع بالانوج على طريق مهاباد-رضائية، وقد ادعى زيرو بك أن منطقة تشكل حدوداً لكوردستان فاجبر أصحاب السيارات المارة من هناك على دفع ضريبة المرور، طبعاً لحساب جيبه.

كما ونصب هذا (العقيد) أمراء وحكاماً في مملكته. وقد أغار ذات مرة على مدينة الرضائية. وأشيع عنه انه إنسان ظالم ومجرم. ويقال انه وعن طريق الخدعة قتل عقيداً في بالانج بصورة مفجعة .

لقد التجأ زيرو بك لحماية عشيرة بارزان خوفاً مما اقترفه من الجرائم والآثام، وجلب معه أموالا هائلة من النقود والذهب.

فيما بعد التقينا بهذا الشخص في سجن أبو غريب، وهناك وجدناه كم كان غبياً وجباناً. انه كان يتملق إلى أي جندي أو عريف في السجن ويستجدي عطفهم. بعد مرور عامين وعلى اثر نفوذ أصحابه في البرلمان العراقي تحرر زيرو بك من السجن. روبعد عودة الملا مصطفى إلى العراق في عهد حكومة عبدالكريم قاسم، جمع زيرو بك عدداً من الأفراد حوله، واشترك إلى جانب الجيش

في محاربة الملا مصطفى حيث قتل أثناء إحدى المعارك. رطبعاً لم يكن البارزانيون يرغبون في التعامل مع هؤلاء الأشخاص لكنهم لم يستحسنوا طردهم من بينهم أيضا. رعلى كل حال، في حدود 20 إلى 25 فروردين وصلت هذه المجموعة إلى وادي (كادر) الذي يستقر عنده مخفر الحدود العراقية الإيرانية.

كانت أهم مسألة لنا، بعد تسليم رفيقنا المجروح للسلطات العراقية، مصيرنا نحن.

لقد شعرنا عند الاقتراب من الحدود العراقية أن طريقنا وطريق البارزانيين لم يعد مشتركاً، فالشيخ احمد كان يصر على العودة إلى بارزان، والعشيرة في مجملها كانت تميل إلى هذا الرأي أيضا.

كان الملا مصطفى وحوالي سبعمائة من مقاتليه وبالأخص مائة شخص من قادة العشيرة يواجهون أحكاما في العراق. وكانوا يودون الوصول إلى الاتحاد السوفييتي، لأنه كان النقطة الوحيدة التي بقيت توفر لهم الأمن.

في هذا الوقت، كان عددنا قد اصبح ثمانية أشخاص، بالإضافة إلى الجريح (علي اصغري) الذي سلم إلى العراق، كان (نيكلا) قد انفصل عنا وذهب مع صديق آثوري له.

نسيت أن أقول أن عدداً من الآثوريين من أهالي رضائية كانوا معنا أيضا، وقد هربوا لأنهم كانوا أعضاء في فرقة ديموكرات رضائية.

سعيد، الشاب الذي تحدثت عنه سابقاً، كان معنا أيضا، وكان مستعداً أن يرافقنا إلى الاتحاد السوفييتي، عليه ولما كان سعيد دليلاً جيداً قررنا الذهاب إلى الاتحاد السوفييتي في أول فرصة ممكنة. وجمعنا مقداراً من الأغذية والأطعمة. كان علينا فقط أن نستعد للحركة ونتحمل البرد والجوع وملاحقة خطوات سعيد السريعة لنعبر قمم الجبال دون الاقتراب من المدن والأماكن المأهولة للوصول إلى باكو عبر نهر آراس.

أعطينا عدداً من بنادقنا إلى الكورد، واستسلمنا كمية من القمح، وبحدود (منكة) عن كل بندقية، كما ادخرنا بضعة كيلوغرامات من التمر. صباح اليوم الذي أعدنا فيه طعام الطريق، قالوا إن شخصاً يبحث عن ضابط طوب- هكذا كانوا يسموننني، هذا الشخص الذي كان يبحث عني كان الملا مصطفى قد أرسله في طلبي. قصدت خيمة الملا مصطفى فاستقبلني بلطف كثير، وأمر أن يأتوني بالخبز واللبن. خبز التنور الحار ولبن الأغنام الطازج. لابد انك تستغرب إيراد اسم الخبز واللبن بهذا الشوق، لكن يجب أن تعلم أن اللبن والخبز كان طعاماً راقياً في تلك الأيام حيث افضل ماكنا نأكله هو القمح من غير الطبخ. فقط ذات مرة تمكنا أن نسرق جدي(صخل)، لكن لم نكن نعرف طريقة ذبحه، صديقنا (زربخت) كان يحمل خنجراً، تمكنا بواسطته وبمصيبة أن نقطع راس الحيوان المسكين ونسلخ جلده، ثم نفرغ أمعائه ونضعه مرة واحدة في القدر ..و.

قال الملا مصطفى بمحبة زائدة (نقيب تفرشيان، اين تريد ان تذهب؟ اخبرني سعيد بكل شيء. إنكم لن تجدوا افضل من الملا مصطفى، ابقوا معي. إذا متنا من الجوع سأموت أنا أولا ومن ثم انتم. وإذا قتلنا برصاصة سأقتل أنا في الأول ومن ثم انتم. ابقوا بجانبي، نتكاتف مع البعض ونواجه مصيرنا معاً. إن متنا نموت معاً وان عشنا نعيش معاً).

قلت له: لقد توضح من قراركم إنكم ترغبون في العودة إلى العراق، وبهذا الصورة لا نستطيع أن نبقى معكم، لأننا إذا استسلمنا للعراق يجري تسليمنا لإيران ويتم إعدامنا رمياً بالرصاص على الحدود ذاتها.

قال الملا مصطفى (من قال لكم إن الملا مصطفى يستسلم للعراق؟ الملا مصطفى لن يستسلم لأحد. ابقوا وسنرى ماذا يقرر الشيخ احمد. صحيح انه ينوي الذهاب إلى العراق، لكني سأعلق على المنشقة في بغداد بعد (24) ساعة إذا استسلمت للعراق. ابقوا معي واطمئنوا، ليس بإمكاني الذهاب إلى العراق).

غير الملا مصطفى قرارنا السابق. وعندما نقلت كلامه لأصدقائي قررنا جميعاً البقاء بجانبه، سعيد أيضا ذهب إلى العراق بمأمورية من الملا مصطفى، وبقينا ننتظر عودته. في ذلك الوقت، كان الطريق قد فتح لحرس الحدود العراقيين للدخول إلى المنطقة التي تستقر فيها العشيرة حيث كان الشيخ احمد والملا مصطفى يتفاوضان معهم. القوات العراقية أيضا كانت قد اتخذت مواقعها قرب الحدود.

حاول العراقيون الاتصال بنا وكانوا يعتقدون إننا وراء تنظيم العشيرة وإحرازها للانتصارات في إيران، وان خطرها سيكون اقل إذا افترقنا عنها.

ابلغنا العراقيون أن بإمكاننا الالتجاء إلى العراق، وان معاملتنا ستجري وفق القوانين الدولية الخاصة باللجوء السياسي. كما أبلغونا أيضا أن العراق يرتبط مع إيران بمعاهدة تسليم المجرمين العاديين وحسب.

لم نعط العراقيين وعداً بالتسليم كما لم نرفض اقتراحهم، لانتا كنا لا نود قطع الاتصال معهم.

أثناء هذه الأيام، التقينا ذات مرة بالشيخ احمد وتباحثنا معه. قال لنا (طوال حياتي لم أصادف رجالاً بمثل طيبتكم وشجاعتكم.كم كنت أتمنى لو كان لنا وضعنا السابق في بارزان لاستضافتكم. لكن مع الأسف، أيادينا قاصرة عن فعل أي شيء بسبب الوضع الذي نحن فيه. لا نملك شيئاً نقدمه لكم للتعبير عن امتناننا لكم. لقد سمعت إنكم حاولتم الذهاب إلى الاتحاد السوفييتي لكن لم توفقوا، يظهر أنكم تودون البقاء معنا، أرى من مصلحتكم الذهاب إلى العراق، ليس لكم مكان في إيران وتركيا. العراق نقطة الأمل الحيدة لكم. نحن أيضا لا نملك طريقاً آخر وقد قررنا ذلك. سنذهب جميعاً إلى العراق ما عدا الملا مصطفى وعدد من مقاتليه، حيث تقرر أن يدخلوا العراق عنوة والاستيلاء على المخافر الحدودية ومقاتلة الحكومة إلى حين إجبارها لإصدار عفو عام وإعادة إسكاننا في بارزان).

كان هذا هو قرار البارزانيين، وكانوا يعتقدون أن تواجدنا ضمنهم يسبب مشكلة لتنفيذ الخطة.

حيث كان يسود الاعتقاد بأننا شيوعيون ولنا اتصال مع موسكو. وان بقينا ضمن العشيرة، يضطر البارزانيون إلى إضافة شرط آخر بخصوصنا نحن الضباط الستة الشيوعيين في اتفاقهم مع الدولة العراقية. كانوا يتصورن أن الدولة العراقية ستتعامل معهم بقسوة اكثر إذا بقينا بجانبهم ومن المحتمل أن لا يقبل العراق الاتفاق معهم إلا بشرط تسليمنا.

كانوا يقولون، ليس للعراق ما يحاكمكم عليه، فإذا استسلمتم له بمعزل عنا، ستكونون في وضع أخف.

طبعاً كان الشيخ احمد يبين، انه بإمكاننا نحن البقاء مع الملا مصطفى إن رغبنا. لان الملا مصطفى حسب قول الشيخ احمد سيبدأ في (العصيان) من هذه الليلة ويكون مجموعة من المتمردين، ولا اعتراض إن انضممنا إليه. عليه قررنا أن نصبح (متمردين) مع الملا مصطفى، وقد وافق أيضا على انضمامنا.

في الليلة ذاتها، اتجهت قافلة من النساء والأطفال والشيوخ نحو العراق. وانسحب حوالي سبعمائة مقاتل إلى داخل إيران. عند الليل نحروا ثوراً، ووزعوا اللحم على (المتمردين)، نحن أيضا كان لنا حصتنا، واعد البارزانيون (الجوخ) من جلده، وتناولنا العشاء عند اسفل الوادي، وأثناء الليل صعدنا الجبل وتوجهنا نحو خيمة الملا مصطفى.

لقد شعرت وكأنه غير مرتاح لمجيئنا عنده، وكان محقاً في ذلك، فنحن الآن لا نملك غير أهمية مقاتل يحمل بندقية. بالإضافة إلى ذلك مقاتل لا يستطيع تأمين طعامه ومحل نومه ويثقل عليه بذلك، في حين لا يأبه المقاتل البارزاني بكل ذلك، خلاصة كنا عبئاً عليه.

في الليل عندما سألنا الملا مصطفى عن مكان نومنا قال.

(حسناً، اذهبوا وابحثوا لكم عن مكان في إحدى الخيم).

هذا الحديث القصير فهمنا منه أن كلاً منا يفكر بطريقة تختلف كثيراً عن الآخر. كنا ننتظر أن يؤمن الملا مصطفى الطعام ومكان النوم لنا، وكان هو لا يتوقع أن نطلب منه ذلك.

على تلك القمة الجبلية، كان البارزانيون يملكون ثلاثة خيم فقط، وكلما ذهبنا إلى خيمة وجدناها ملأى بالرجال. لم نعثر على مكان لنا.

لما كنت محموماً في تلك الليلة، فأن أصدقائي وجدوا لي مكاناً في إحدى الخيم، بينما هم قضوا ليلتهم حتى الصباح قرفصاء على الثلوج وتحت رحمة برد شديد.

واضح كم هو شاق وصعب، الرقود على الثلوج على قمة جبل يقع على ارتفاع أربعة آلاف متر. فقد تجمد من البرد أثناء نفس الليلة ثلاثة كلاب وجوادان بجوار الخيم.

عندما استيقظت صباحاً، شعرت باحتراق في عنقي، لقد لاحظت أن الثلوج أحاطت به وان رأسي فقط كان داخل الخيمة وبقية جسمي خارجها.

عند الصباح ذاته، اقتنعنا نحن جميعاً، أن لا قدرة لنا على تحمل مثل هذه الصعاب، فقررنا وبالاتفاق أن نسلم أنفسنا للعراق.

لقد شعرنا أننا إن كنا نملك أهمية حتى الأمس، فلأنها كانت بسبب قدرة المدافع. أما الآن فلسنا اكثر من مقاتلين بسطاء لا يستطيعون مسايرة المقاتلين البارزانيين.

في يوم 26 فروردين من عام 1326، ورغم إحساسنا بكل الأخطار التي تواجهنا،استسلمنا للعراق.

قبل أن نودع البارزانيين أو بالأحرى نودع كوردستان. احب أن أورد قصة أم كوردية. قصة مشاعر وعواطف ليس بمقدور أحد غير الأم التعبير عنها.

الفصل الرابع

ولدي خيري ــــــــ

شتاء عام 1324 تعرفت في اشنويه على شاب يدعى (خيرالله).ولأن الجميع كانوا يدعونه خيري أذكره أنا أيضا بهذا الاسم. إنه كان أحد ضباط الجيش العراقي الكورد، انضم إلى البارزانيين، ووفد معهم إلى إيران وخدم برتبة نقيب جيش جمهورية كوردستان الوطنية بزعامة قاضي محمد.

في مهاباد تزوج من فتاة جميلة جداً. وانسحب مع البارزانيين نحو الحدود بعد أن شن الجيش الإيراني الهجوم عليهم.

كان خيري في حدود الأربعين سنة من عمره، ولكن يبدو للمرء من حركته الدؤوبة ونشاطه، خاصة عندما يعتلي ظهر الفرس أنه شاب لا يجب أن يتجاوز عمره ((25-26)) سنة.

كان نشطاً جداً وجريئاً وطيب المعشر إلى حد كبير، وكان يتميع بمعنويات عالية، ويعطي استنتاجات متفائلة للأخبار مهما كانت سيئة.

كان أحد رجال العشيرة يملك جهاز راديو قديم يعمل على البطارية، وكنا نستمع إلى الأخبار، كان خيري يأتينا في الصباح بأخبار الليل وتحليلاته عنها.انه كان يواظب على سماع الراديو كل ليلة.

كان خيري مثالاً للتفاؤل في تحليه الأخبار، فعلى سبيل المثال: إذا أذاعت موسكو تعليقاً ورد فيه (سنحطم شدقات الثرثارين) كان سيقول غداً يزحف الجيش الأحمر من شمال إيران ويكتسح الجيش الإيراني المعتدي والمستبد وتعود حكومة كوردستان الشعبية كما كانت.

كان خيري مسؤول تموين البارزانيين، وفي كل سفرة له لجلب المؤن كان يأتي معه بجملة من الأخبار-مثلاً:

العشيرة الفلانية أقسمت بالقرآن أن تقف إلى جانب البارزانيين حالما تندلع الحرب. العشيرة كذا وعدت بتقديم العون والمساعدة إلى البارزانيين ضد الجيش الإيراني. رئيس العشيرة الفلانية اغتاله نظام الشاه ويستحيل أن تتعاون مع الجيش الإيراني و... والخ.

الخلاصة كان يبدو من الأخبار التي يجلبها وما يقوم به من تحليلات وتفسيرات، أن شعب كوردستان قاطبة يقف موحداً وراء البارزانيين، وان الجيش الإيراني سيمنى بهزيمة سريعة إذا اقدم على إعلان الحرب.

انه لم يكن شاباً متفائلاً فقط إنما كان مبعث الأمل والتفاؤل لكل من يحيط به.

هناك الكثير من الذين اطلعوا على محبته لعائلته في اشنويه. أنا بنفسي شاهدته ذات يوم يجلب معه شقيقاً صغيراً لزوجته إلى الحمام، وكان يقوم بغسله وتجفيف جسمه بكل محبة وكأنه ابنه. لقد برهن انه ليس مقاتلاً وعسكرياً فحسب وإنما رب أسرة ممتاز.

شن الجيش الإيراني الهجوم، وبعد سلسلة من المعارك، انسحب البارزانيون بعد كر وفر إلى الحدود. عند الانسحاب ظلت والدة زوجة خيري وشقيقها في اشنويه، لكن زوجته الجميلة جاءت معه وأصبحت برفقته.

عندما كنا نبحث بين الخيم للاستفسار عن أحوال الأسر والعوائل التي كانت لنا معرفة بها، التقينا بالنقيب خيري ووجدناه مريضاً وراقداً في الفراش. الحمى قد اشتدت عليه، وكان يئن كثيراً، وحتى كان يهذي لشدة الحمى. حينما وقع بصره علينا انفرجت أساريره، ورحب بنا بحركة من رأسه. كنا عدداً من الضباط وقد انسحبنا مع البارزانيين. طلب خيري منا الجلوس عنده، قال لنا وكلماته مصحوبة بالآهات والأنين:

-ارجوا منكم إقناع زوجتي بالعودة إلى مهاباد، أنا مريض، ومضطر أن اسلم نفسي إلى السلطات العراقية، ولاني محكوم بالإعدام غياباً فليس واضحاً ماذا سيكون مصيري. إن وجود زوجتي معي تقيد أيادي وأرجلي وتهبط من معنوياتي، إنها شابة وجميلة.

كنا نرى زوجته تحوم حوله مثل الفراشة وتواسيه قائلة:

-دع عنك الهموم، ستتعافى قريباً.

وحين أثار خيري موضوع عودتها إلى مهاباد قالت:

-لا تجهد نفسك عبثاً، سبق وان أخبرتني بنفسك بكل هذه المواضيع والأمور. لن تؤثر علي نصائح هؤلاء السادة اكثر من طلباتك أنت مستحيل أن أتركك على هذا الوضع. أنا زوجتك مهما كانت الظروف مادمت حياً وان مت...

هنا أدارت وجهها إلى الناحية الأخرى وبكت.

وأدركنا أن حديثنا لن يؤثر في موقفها لكننا قلنا لها:-

-لأنك امرأة شابة وجميلة، ولأنك زوجة إنسان محكوم فأنت مهددة بالمخاطر في العراق. من الممكن أن لا يجري التعامل معك باحترام وقد يحصل اعتداء عليك، وهذا يسبب آلاماً وعذاباً اكثر لزوجك، فأن كنت تحبينه يجب عليك العودة إلى مهاباد، فان تحرر زوجك يعود إليك، وان شنق لا فرق أن تكوني في مهاباد أو بغداد.

ليس معلوماً إن كان هذا الحديث قد اثر فيها أم لا، ولكن حين التقينا مع خيري للمرة الثانية داخل العراق، لم نشاهد زوجته معه، لم نسأله عنها لئلا نضاعف آلامه ونحفر في جروحه، يبدو إنها كانت قد عادت إلى مهاباد.

التقينا مع خيري داخل في نقطة (بابشتيان) التي تقع فيها مركز شرطة، كان خيري لم يزل مريضاً جداً، إلا أن الضباط العراقيين، ولمعرفتهم السابقة بزميلهم كانوا قد احضروا له الطبيب والدواء ووفروا له مكاناً للاستراحة.

صباح اليوم التالي انقلونا إلى ديانا، وقد احضروا دواباً لركوب خيري، بينما سرنا نحن الآخرين، مشياً على الأقدام. عند ديانا وهي أول نقطة حدودية تصل إليها السيارات بدأت حكايتنا.

لقد أركبونا، نحن المعتقلين في شاحنتين وسارت معنا سيارتان مصفحتان للحراسة. لم يكن قد ابتعدنا من ديانا كيلومترين أو ثلاثة حين شاهدت امرأة في الجانب الأيسر من الشارع تهرول باتجاهنا وتصرخ عالياً. حين اقتربت سمعتها تقول:

-كورم خيري ! أي ولدي خيري.

كانت تهرول بائسة وعارية الرأس، لقد انفلت رأس عصبة الرأس وطالت إلى الأرض تثير غباراً. لم يكن يتبين من كل هيئتها غير عينين حمرواويين تبرقان، كانت تصرخ دون أن تنتبه إلينا أو إلى الشرطة

-ولدي خيري ! ولدي خيري !.

ثم رمت نفسها في سيارة اللوري. أخفى خيري وجهه وقال لي بصوت خافت:

-إنها أمي، افهمها أني لست هنا.

لكن، لا نحن نفهم لغتها ولا الشرطة يقبلون أن نحادثها. توقفت السيارة وترجل منها اثنان من الشرطة دفعوا بها بعيداً عن السيارة وتركوها على حافة الطريق.

ما أن تحركت السيارة من جديد حتى قفزت مرت أخرى إلى داخلها في غمضة عين. وتكرر ذلك عدة مرات، في الأخير أثارت غضب الشرطة فسحبوها على الأرض بعيداً عن السيارات وتركوها في ساقية ماء. هذه المرة وحين نهضت كانت السيارات قد ابتعدت.

لم يدرك أحد كيف علمت أن ابنها داخل هذه الشاحنة. عند المرحلة الأخرى التقينا بها من جديد فعندما انقلونا إلى خيمة للحراس في فوج عسكري قرب إحدى القرى الواقعة على الشارع وما أن ترجلنا من السيارة، حتى وجدنا والدة خيري تجلس القرفصاء جانب الخيمة. كيف ومتى وصلت هنا؟ وكيف عرفت أنها محطتنا؟

لم يدرك أحد سر ذلك. يستطيع المرء فقط أن يحدس أن المرأة تشم رائحة ابنها وتجري وراءه. إنها أحاسيس وشعور الأم لا يدركها غيرها.

في تلك الليلة تم نقلنا إلى داخل قلعة، قيل إنها مخفر شرطة.

وبعد وساطات عديدة ودفعنا لبعض النقود، سمحوا لوالدة خيري بمشاهدة ابنها لعدة دقائق.

ظلت المرأة، خلال هذا اللقاء القصير كله، تحدق فقط في ابنها خيري ودون أن تتفوه بكلمة، وكأنها بنظرها تغدق عليه كل محبتها، وتقول له كل شيء. كان كيانها قد تحول إلى نظر. كل ما كانت تقوله

-ولدي خيري...

طبعاً كان خيري يحادثها، والظاهر انه كان يطمئنها ويطلب منها العودة إلى بيتها. وكانت هي تحدق فيه فقط.

في الصباح الباكر توجهوا بنا في الطريق إلى كركوك وقد وصلناها عند الغروب. في نفس تلك الليلة أركبونا عربة خاصة في القطار إلى بغداد. لقد ساء حال خيري اكثر واكثر، كان يئن باستمرار ويطلب إحضار الطبيب له.كانت العربة التي أركبونا فيها مقفلة الأبواب، ولم تكن تتصل مع العربات الأخرى. وكنا مقيدين وأيادي كل اثنين منا مربوطة إلى البعض. حتى خيري الذي كان شبه فاقد الحركة بسبب مرضه مربوطاً إلى أحد الكراسي.

بعد مسيرة القطار لحوالي ساعة من الزمن سمعنا صوتاً من وراء باب العربة، وقد انتبه الحراس إلى الصوت. كان رئيس الحراس في عربتنا أحد (المفوضين) وكان عنجهياً متعجرفاً. تصرفاته

ومعاملته معنا تدل على انه لم يكن من الشباب القويم السلوك. العريف الذي كان بإمرته تحدث عنه هكذا أيضا. كان يفتخر بهذه المأمورية، ويريد استخدام سلطاته في أية مناسبة، وقد طلب من العريف التعرف على مصدر الصوت. حين فتح الباب وجدنا والدة خيري واقفة وراءه طلبنا بواسطة العريف الذي كان يعرف التركية، من المفوض السماح لهذه الأم برؤية ابنها لبعض الوقت، لكنه أجابنا بصلافة، وأمر بأبعاد المرأة عن الباب وإعادة غلقه. كان خيري من جانبه لا يود أن تراه والدته وهو مكبل بالقيود وعلى هذا الحال من المرض والألم.

على أية حال اقفل الباب. واستمعنا مرة أخرى إلى صوت والدة خيري وتأوهاتها التي استمرت حتى الصباح من وراء الباب.

طبعاً حاولت الشرطة، لعدة مرات إبعادها بالقوة وبقسوة إلا إنها ومقابل كل عنف الشرطة لم تتفوه بكلمة ولم تقاوم.

كانت فقط تدق صدرها وتقول:

-ولدي خيري!...

لم تتوسل ولم تتضرع لم تغضب ولم تثر ولا أبدت عن رد فعل.

في صباح تلك الليلة، وصلنا بغداد وأودعونا في (مركز السراي) في غرفة قذرة وموحشة. هنا أيضا كانت والدة خيري حاضرة عند باب المركز.

بعد ثلاثة أيام، تم البت في مصيرنا، فنقلونا إلى معتقل (أبو غريب). لكن خيري لم يكن معنا، فقد أحيل إلى السلطات العسكرية، وهكذا افترقنا عن البعض. وقد علمنا من الصحف انه أحيل إلى محكمة عسكرية.

كان علي اصغري من رفاقنا وقد جرح أثناء المعارك فاضطررنا أن نسلمه إلى حراس الحدود العراقيين قبل أن نسلم أنفسنا بفترة.

بعد شفائه ومعالجته أحيل هو كذلك إلى المعتقل العام وقد روي لنا:

كانت حكاية والدة خيري قد أصبحت مشهورة في كل مكان. كانت تتبع آثار ابنها أينما يذهبون به وكأنها تشم رائحته.

تحضر كل مكان ودون أن تسأل أحد.

عندما كان خيري معتقلاً في المعسكر كانت والدته هناك باستمرار، وحين كانوا يذهبون به إلى المحكمة تخرج في إثره وتعود عندما يعيدونه.

كان جميع الضباط والقضاة يعرفونها، ويواسونها بالقول:

-سيطلق سراح ابنها قريباً، وكانت تطلب أن يدعوها تأخذ ابنها إلى البيت.

أخيرا صدر الحكم بإعدام خيرالله، وقد نشرت الصحف انه شنق في السجن المركزي في بغداد.

صباح يوم تنفيذ الحكم، أقام خيرالله الصلاة وحضر إلى المشنقة وقال:

-أنا شاب كوردي، وافتخر بأن أموت في سبيل استقلال كوردستان.

عند اللحظة الأخيرة أوصى (أن يسلموا جثته إلى والدته).

في نفس اليوم أبلغت والدة خيري بأمر إعدامه، لكنها مع ذلك طلبت أن يدعوها تأخذ ابنها.

وسلموا إليها ابنها ولكن فاقد الروح.

ساعد بعض الكورد الأم واستأجروا سيارة بيكاب لنقل جثمان ذلك الشهيد الكوردي إلى أربيل. ويقال إن والدة خيري ركبت السيارة ووضعت رأسها على الجثمان، دون أن تبكي أو تنتحب.

لقد سمع علي اصغري من كورد بغداد، أن أقرباء وأصدقاء خيري وأهالي أربيل شيعوا جثمانه حتى مقبرة المدينة، ودفنوا خيري فيها، إلا أن أحدا لم يشاهد والدته بين جموع المشيعين.

في اليوم التالي شوهدت والدة خيري على مزار ابنها وقد وضعت رأسها على القبر وفارقت الحياة.

نص قرار لجنة العفو العام برد الاعتبار إلى شهداء ثورة بارزان

كان المجلس العرفي العسكري في أربيل قد صدر في القضية الموحدة تحت رقم 1945/98 حكماً يقضي بإعدام كل من الرئيس الأول المتقاعد عزت عبدالعزيز والرئيس مصطفى خوشناو والرئيس خيرالله عبدالكريم والملازم محمد محمود القدسي وفقا لأحكام المادة (11) من مرسوم الإدارة العرفية رقم (18) لسنة 1935 ومصادرة كافة أموالهم المنقولة وغير المنقولة وبيعها وتسليم أثمانها للخزينة تعويضاً عن الأضرار التي لحقتها من حركة المحكوم عليهم.

ولقد نفذ حكم الإعدام شنقاً حتى الموت بهم بصورة سرية داخل السجن بتأريخ 1947/6/19.

قدمت نديمة بنت عباس والدة الشهيد محمد محمود القدسي عريضتها المؤرخة 958/9/11 إلى هذا اللجنة تطلب فيها مكافأة لورثة ابنها الشرعيين، كما قدم المحامي حمزة عبدالله الوكيل العام عن صالحة مرزا مناف زوجة الشهيد خيرالله عبدالكريم طلباً إلى هذه اللجنة لتقدير التعويض المقتضي لعائلة الشهيد مع ما يقدر لها من الإكرامية والراتب التقاعدي.

لدى التدقيق- لما كانت الأحكام الصادرة بحق كل من الرئيس الأول عزت عبدالعزيز والرئيس خيرالله عبدالكريم والرئيس مصطفى خوشناو والملازم الثاني محمد محمود القدسي والمتضمنة إعدامهم شنقاً حتى الموت وتنفيذ تلك الأحكام بحقهم تدخل تحت نطاق المادة الأولى من القانون رقم 23 لسنة 1958. لذا تقرر شمولهم ورفاقه في القضية المذكورة جميعاً بالعفو العام الشامل، وتقرير شمولهم بوجوب منح المكافآت لورثتهم الشرعيين الذين لهم الحق أيضا باسترداد أموال مورثيهم المنقولة وغير المنقولة المصادرة بموجب الحكم المذكور، وذلك وفق المواد الثالثة والسابعة والفقرة (2) من المادة العاشرة من القانون المذكور وإخطار مجلس الوزراء بذلك عملاً بأحكام المادة (11) منه وصدر القرار بالاتفاق في 959/2/25.

العـــــــــــــــضو العـــــــــــــــضو
الـــــــــــــــرئيس إبـــــراهيم حمـــــودي عبـــدالخالق الـــدروبي العـــــــــــــــضو
عبدالأمير العكيلي مـدير الحقـوق بـوزارة المشاور العدلي بوزارة الحاكم فخري الوز
الداخلية الدفاع

الفصل الخامس

العراق ــــــــــ

حينما قررنا التسليم للعراق، ذهبنا نودع الملا مصطفى البارزاني وكانت آخر مرة نراه فيها، بدا لنا انه يرحب بفكرتنا وكأن ثقلاً يزاح عن كتفه.

اخبرنا حرس الحدود العراقيين باستعدادنا للتسليم شرط منحنا حق اللجوء السياسي، فأرونا برقية بتوقيع صالح جبر رئيس وزراء العراق في حينه، تفيد أن الدولة العراقية ستعامل الضباط الإيرانيين الرسميين وفق القوانين الدولية الخاصة باللاجئين السياسيين.

بأمل وخوف عبرنا خط الحدود، ودخلنا خيمة حراس الحدود العراقيين بعد أن أعطينا أسلحتنا إلى البارزانيين في الطرف الآخر من الحدود.

في البداية جرى التعامل معنا باحترام، وقدمونا في أول مركز للشرطة إلى قائد الحدود-آمر قوات الشرطة حسب قولهم- العميد حجازي الذي قام فيما بعد بانقلاب فاشل ضد عبدالاله فأعدم على أثره.

تحدث معنا العميد حجازي بالتركية الاستانبولية وقال:

-لا خوف على الضباط الرسميين، لن نقوم بتسليمهم إلى إيران بأي وجه، وسنتصرف معهم وفق القوانين الدولية.

كانت الشرطة العراقية ترافقنا إلى هذا الحد، وبعد اثنتي عشرة ساعة من الاستراحة، جرى تسليمنا إلى المسلحين المحليين، فأخذ هؤلاء يتبعوننا من مرحلة إلى أخرى، لاعتقادهم بأننا العصاة الذين شقوا عصا الطاعة، وأخذت معاملتهم تأخذ طابع القسوة والشدة حتى تم تسليمنا للجيش في قصبة ديانا.

من هناك تم نقلنا إلى مدينة كركوك، وعندها وضعت القيود في أيدينا رغم مقاومتنا واعتراضنا الشديد.

كان المفوض الشاب المأمور بنقلنا من كركوك إلى بغداد يولي أهمية كبيرة على مأموريته، وقد اجاب على اعتراضاتنا بشأن القيود قائلاً:

-(الكلبجة شرف الحكومة العراقية، وقد توجه وزراء رشيد عالي الكيلاني بهذه الكلبجات إلى المشنقة، يجب عليكم أن تكونوا سعداء لنيلكم نصيباً من هذا الشرف). من كركوك انقلونا بالقطار ليلاً إلى بغداد، وهناك أودعونا سجن (مركز السراي). كان هذا السجن يتألف من ثلاث قاعات ذات أبواب حديدية محكمة، وكانت القاعات الثلاث تحوي عدداً كبيراً من أناس رث الثياب ومن مختلف أنواع المجرمين: اللصوص، المهربين، الشقاة، والزناة وغيرهم من الساقطين.

كانت كل قاعة تضم بين جدرانها من 50-60 شخصا من أولئك المجرمين وقد التصق أحدهم بالآخر لضيق المكان. وعند إدخالنا السجن هجم كل هؤلاء لمعرفة أي نوع من الأحياء نحن وكانت هناك في إحدى زوايا باحة السجن عدد من العاهرات يبادلن السجانين اقذر السباب والفحاش. إحدى هذه النسوة كانت من أهالي كرماشان، ولأننا كنا نرتدي الملابس الكوردية توجهت نحونا قائلة:

-في أي (كرخانة) تم القبض عليكم؟!

وكرخانة اسم يطلق على بيوت الدعار. كانت المسكينة تظن أن كل من يدخل السجن لابد أن يكون من أمثال هؤلاء الفاسدين. لقد أضافت تقول:

-لماذا لم تأتوا عندي حتى وقعتم فيها!

أحد رفاقنا، جوار أرتشيار كان من أهالي كرماشان، وجه لها بعض الشتائم وطلب منها أن تسكت.

أجابته المرأة تقول:

-لماذا غضبت، كل الرجال كذلك وأنت أحدهم، فلماذا تظهر نفسك الآن تقياً وطاهراً؟

على كل حال، أخلوا لنا إحدى القاعات، وانقلوا السجناء الآخرين إلى القاعتين الأخريتين.

كانت القاعة تحوي ثلاثة أو أربعة أبسطة عتيقة وقذرة وكان جوها رطباً ومتعفناً، وهواؤها غليظاً إلى حد كان بالإمكان قطعه بالسكين على حد قول أحد رفاقنا. في إحدى زوايا القاعة كانت قد وضعت صفيحتان معدنيتان تستعملان من قبل السجناء لقضاء الحاجة. بهذه الصورة جرى أول استقبال رسمي لنا من قبل الحكومة العراقية.

لقد شهدنا هناك بطولات تستقي أسبابها من مصادر القسوة والشدة، وكانت يبدو أن البطولة والقسوة صفتان بينهما العلة والمعلول، هل كانت بطولة السجناء نابعة عن قسوة السجانين؟ أم أن قسوة أوجدتها بطولة السجناء؟ على الأغلب كانت القسوة رداً على البطولة.

في الأيام التي قضيناها في مركز السراي، أوتي مرة أو مرتين بحوالي سبعة أو ثمانية طلاب.

في ذلك الوقت كانت تصفية المعارضين في العراق، ومثل كل مكان آخر في العالم، تتم بتهمة الشيوعية، وقد اعتقل هؤلاء الطلاب أيضا بنفس التهمة. لقد رد الطلاب على شتائم وإهانات الشرطة وتطور الأمر إلى صدام وضرب، وقد لاحظت إلى أي حد بلغت تصرفات الشرطة تجاه الطلبة من القسوة وعدم الرحمة. كانوا يكيلون الضرب للطلبة، وهم مقيدي الأيدي ولا يكفون عن ضربهم حتى يتعبوا هم أنفسهم من الضرب، ولكن كلما ازدادت وحشية الشرطة وقسوتهم ارتفعت معنويات الطلبة، واصبحوا اكثر شهامة وبطولة وعناد. كان أفراد الشرطة وبعد ضرب الطلبة، تفك القيود عن أيديهم أحيانا وشاهدت ذات مرة طالباً وبمجرد أن تم فك قيده يزأر مثل الأسد، ويوجه لأحد رجال الشرطة صفعتين قويتين.

لم أشاهد بطولات العراقيين في مركز السراي اكثر من مرتين، لكني رأيت فيما بعد نماذج وأمثلة من أعمال الشهامة والبطولات والمقاومة مثيرة للإعجاب. لقد شاهدت كيف إن العراقيين يقاتلون بإصرار ويقاومون حتى الموت.

تعد السلاسل الحديدية رمز قسوة الشرطة العراقيين، وتشكل دليلاً على ما تقوم به من عنف. أمام كل سجن يوجد حداد، وكل من يصدر حكم بشأنه يذهب به إلى الحداد لتقييد أرجله وأياديه بالسلاسل الحديدية، مثلما يذهب به إلى شعبة طبع الأصابع. حتى رفيقنا على اضغري الذي حكم عليه بالحبس لمدة شهر بجرم اجتياز الحدود في الوقت الذي كان مجروحاً وسلم نفسه، لم يحرم من هذا اللطف. وقد أوضح لنا الوضع قائلاً:

-حين انقلوني إلى السجن المركزي وجدت هناك حوالي ثلاثة آلاف سجين، وهم جميعاً يحملون السلاسل الحديدية في أرجلهم، وكانت هذه السلاسل مختلفة من حيث أطوالها وأحجامها وأوزانها. كان وزن السلاسل يناسب مع الجريمة المرتكبة وكانت بعضها طويلة لحد أنها كانت تلف حتى رقبة المحكوم وبعضها قصيرة وتربط بخيط من الوسط لكي لا تلمس الأرض عند المشي. أما السلاسل الطويلة فأنها قد تقيد الأيادي أيضا إضافة إلى الأرجل.

بعد تحقيق مختصر في مركز السراي، تم نقلنا إلى (معتقل أبو غريب) وأبو غريب قرية تقع قرب بغداد كانت في السابق ثكنة عسكرية، واتخذ منها في الوقت الحاضر معتقلاً باسم (السجن الملكي). كان السجانون جميعاً في هذا المعتقل من الحرس الملكي العراقي.

في البداية وضع كل ثلاثة منا في غرفة، وأعطى لكل واحد بطانيتان ممزقتان واقفلوا الأبواب. كان يسمح لنا في اليوم بنصف ساعة فقط للخروج واستنشاق الهواء. ولكن شيئاً فشيئاً ونتيجة اعتراضنا، تحسن الوضع فكانت الأبواب تقفل في الليل فقط، وكنا نتمكن من زيارة بعضنا الآخر، كما كان يسمح لنا بالسير في الممر وإعداد الطعام.

في البداية كانوا يأتوا لنا الطعام الجاهز، وبعد اعتراضات متكررة حول سوء الأكل والطعام، خصص لنا يومياً مبلغ(300) فلس لكل واحد عن بدل الطعام.

تحسن وضعنا، واصبح افضل بكثير من السابق بعد مرور شهرين على اعتقالنا، لقد زودونا بالأسرة وفراش النوم. لكن معاملة الحراس لم تختلف. كانت الأبواب تقفل عند المساء كالسابق ولم يعيروا اهتماماً لشكاياتنا بهذا الصدد.

كان تحسن وضعنا يعود إلى أوامر السلطات المسؤولة وتعليماتها، وكان لبدل الطعام النقدي اثر مهم في ذلك، لقد تمكنا بواسطة ما نقتصد من المبلغ المذكور، إن نلين عراك (العريف حسين) مسؤول حراس السجن وغيره من العرفاء.

كانت الرشوة والفساد المالي قد نخرت كل هيكل الجهاز الحكومي العراقي، وكان بالإمكان القيام بأي شيء بإعطاء الرشوة. لقد سمحوا لنا، بعد مضي حوالي ستة اشهر، أن نراسل عوائلنا، وكانت الصحف والكتب وحتى المنشورات الحزبية تصل إلى أيادينا. كانت جميع الرسائل والمطبوعات التي ترد إلينا من إيران تصلنا قبل أن يطلع عليها المسؤولون في رقابة المطبوعات. وكنا بعد تصفيتها نسلمها إلى العريف حسين لإرسالها إلى الجهة المختصة في الإدارة المذكورة. مما يجلب الانتباه هنا أن إدارة الرقابة كانت تحتجز بعض الرسائل اعتبرنا نحن عند الاطلاع عليها أن لا ضرر من إرسالها لها.

لقد علمت من بعد المراسلة والاتصال مع أهلي، إن زوجتي ومعها طفلاها قد هاجرت إلى الاتحاد السوفييتي من آذربيجان.

فحين خرجت من تبريز تركت فيها زوجتي وأطفالي الاثنين، وعلى طول عام كامل كان النار يلتهم أعماقي لعدم معرفتي مصير هؤلاء إلا عزة وما حل بهم. وقد وصلت رسالة أهلي وعرفت انهم هاجروا مع العوائل الأخرى إلى الجهة الأخرى من الحدود، وكانت لي حماة شجاعة، رحمها الله، ولقد استطاعت أن تجبر القنصلية السوفييتية في مشهد على الاستفسار عن حالة ابنتها، وإلى أن وصلتها رسالة منها وتم السماح لها بمراسلتها على الدوام. فكانت ترسل لي إلى العراق هذه الرسائل الواردة من زوجتي. بهذه الصورة تمكنت من أن أراسل زوجتي في الاتحاد السوفييتي بصورة مباشرة.

في الأخير تمكنا من الاقتراب من الرقيب المسؤول في إدارة رقابة المطبوعات، وسمح لنا بعدة فترة بزيارة ومراجعة مركز شرطة العراق في بغداد وبإجازات خاصة. لقد تعرفنا هناك على أحد المسؤولين عن الأمور التي تخصنا واصبح هذا المسؤول وبعد مدة من التعارف يسحب مجر منضدته بمجرد دخولنا إليه، وكان الثمن الذي يطلبه هو دينار واحد عن تلبية كل طلب لنا.

بعد حوالي عام ونصف، نقلنا إلى مدينة سامراء وسأتحدث عن جريان النقل وأسبابه فيما بعد. أريد الآن أن أتابع حديثي عن الرشوة في العراق.

في سامراء كنا أحيانا نراجع الطبيب في عيادته أو في المستشفى، وكان يقتنع بإحالتنا إلى المؤسسات الصحية في بغداد للمعالجة. وفي بغداد كانوا يأخذوننا من مركز السراي إلى نفس المسؤول المذكور ودون سؤال وجواب كنا نضع ديناراً واحداً في درج منضدته، وبعد ذلك نفهمه بطلبنا. وعلى النحو الآتي:

في المرة القادمة احضروا لنا السيد زربخت، هذا دينار لأجله. نريد أن نتفقد المدينة في الأيام التي نبقى فيها في بغداد للمعالجة وهذا دينار أيضا، ودينار آخر للسماح لنا بقراءة المطبوعات المحجوزة وهكذا، ذات مرة جاءت والدتي إلى((سامراء برفقته اثنين من أشقائي، لم تحصل الزيارة على النحو الذي كنا نرغب فيه.

فطلبت منهم الذهاب إلى بغداد ومراجعة نفس المسؤول، في بغداد حصلوا على موافقة رسمية للزيارة، وحتى الإقامة معي داخل المعتقل ليلاً ونهاراً.

أعود الآن مجدداً إلى ذكر سجن أبو غريب.

في عامي 1946-1947 بلغت النهضة التحررية للبلدان شبه المستعمرة أوجها، وتزعمت النهضة التحررية في العراق الأحزاب الديمقراطية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي العراقي بزعامة يوسف سلمان (فهد). وكان للحزب مطبوعات سرية وعلنية. وكانت تصل إلينا بواسطة (دهن الواشر) كل من صحيفة القاعدة جريدة الحزب السرية وصحيفة الأساس العلنية. لم تكد تمر يوم من غير أن يحصل صدام بين الجماهير العراقية وقوات الشرطة الحكومية. كانت الجماهير في مظاهراتها اليومية تعبر عن سخط الشعب على المعاهدة الاستعمارية البريطانية العراقية.

أخيرا سافر نوري السيد ممثلاً عن الدولة العراقية إلى بريطانيا، وعقد معاهدة جديدة مع بوين وزير خارجية بريطانيا في ميناء بورتسموث واشتهرت بنفس الاسم.

اعتبرت الجماهير المعاهدة هذه أيضا قيداً استعمارياً جديداً، لذا لم يثمر عقدها في هدوء الشارع فحسب، بل إنها تسببت في زيادة غليان الجماهير وصياح وصخب الشعب العراقي، وقد أدت إلى سقوط حكومة صالح جبر وتشكيل حكومة أخرى برئاسة مزاحم الباجة جي، غير أن كل ذلك لم تفلح في الحد من حركة الاستقلال والسخط الشعبي المتزايد والمعبر عنه بالتظاهرات الشعبية الصاخبة، وكان بذلك يزداد عدد المعتقلين يوماً بعد يوم.

في هذه الظروف، وفي عام 1948، جاءت قضية فلسطين وتشكيل الحكومة الإسرائيلية لتجد فيها الحكومة العراقية ضالتها المنشودة. فقد ارتفع صراخ، وا عرباه، في جميع أنحاء الجزيرة العربية وعقدت الكثير من المؤتمرات واللقاءات، وتحشدت أفواج من المتطوعين للذهاب إلى فلسطين ومحاربة اليهود.

من الطبيعي، في هذا المناخ الملتهب، أن تكون الحركات التحررية وعلى رأسها الأحزاب التقدمية أولى ضحايا الحكومات العربية الرجعية. لقد أعلنت الأحكام العرفية العسكرية في كل أنحاء العراق، وبدأت بصورة جدية عمليات القمع الإرهابي ضد دعاة التحرر وأعداء الاستعمار.

كانت أعمال التعذيب والقتل السلاح الوحيد بيد الحكومات الاستعمارية العميلة للأجانب.

لقد اعتقل كمال سيف، اسمه المستعار (يوسف كامل) مسؤول تنظيمات الحزب الشيوعي العراقي وكشف تحت التعذيب عن الهيكل التنظيمي الكامل وعلى رأسه يوسف سلمان (فهد).

في هذه الفترة امتلأت جميع سجون بغداد ومنها سجن أبو غريب بالمعتقلين، وقد استشهد البعض تحت التعذيب. وحكم على يوسف سلمان (فهد) وزكي بسيم وناجي شميل وحسين شبيبي من زعماء الحزب بالإعدام، وأودع الآخرون سجن (نقرة السلمان) الرهيب جوار صحراء السعودية القاحلة.

كنا نتمتع بحرية اكثر في سجن، أبو غريب، وكنا نلتقي في قاطعنا بمعتقلين قضوا أربعاً وعشرين ساعة دون طعام أو شراب وكانوا بالإضافة إلى ذلك يواجهون التحقيق ويودون مشاورة بعضهم البعض، وتوحيد وتنسيق إفادتهم وكذلك الاطلاع على مصير رفاقهم.

هنا كان الواجب يحتم علينا أن نهب لمساعدتهم لاشتراكنا معهم في القيود وفي المبادئ كذلك لقد لاحظ مسئولو إدارة السجن الزيادة الكبيرة الحاصلة في شرائنا للطعام والمأكولات فقد كانوا بحدود مائة معتقل، وكان يجب علينا تأمين وجبة طعام واحدة على الأقل لكل واحد منهم، مما انتبه للأمر المسؤولون في السجن فأخذوا ينظرون إلينا بشك وريبة. وقبض على أحد الأصدقاء متلبساً (بالجرم) ولأنهم لم يتمكنوا من الحصول على اعتراف الموقوف، تم إبعادنا إلى سامراء مباشرةً بعد هذا الحدث. كنا قد أوصلنا إفادات ومجريات التحقيق لأحد الموقوفين إلى رفيق له، وبمجرد أن حملت عليه الشرطة، وضع الورقة في فمه وابتلعها.

أثناء المدة التي قضيناها في، أبو غريب، قدمنا رسائل وعرائض عديدة إلى السلطات العراقية لدراسة قضيتنا، وقد أبلغناها إنها قبلت دخولنا العراق بصفة لاجئين سياسيين وان ليس لها الحق في اعتقالنا، وطلبنا أن تجد لنا مكاناً في العراق للإقامة فيه أو السماح لنا بالخروج من العراق.

ذات مرة طلب إلينا اختيار ثلاثة دول تقوم السلطات العراقية بالاتصال مع سفاراتها، وأية دولة تقبل بنا في أراضيها يتم إرسالنا إليها، طبعاً لم يثمر ذلك عن شيء ولم يعطونا جواباً.

أثناء أوج النهضة الوطنية حاولنا الاتصال بالصحف الحرة لإيصال احتجاجنا حول معاملة الحكومة العراقية إلى الشعب العراقي. واستطعنا الاتصال بصحيفة الأساس لسان حال الشباب الديمقراطي التي كانت تصدر بشكل نصف علني، وذلك بواسطة بعض الجنود المكلفين الذين تحدثنا إليهم، وأفهمناهم مشكلتنا كما كنا أحيانا ندفع بعض النقود لهم، وقد نشرت صحيفة (العصفور) العلنية والقريبة من صحيفة الأساس رسالة لنا. بعد نشر هذه الرسالة جرى الاتصال بنا من قبل السلطات لغرض إلهائنا فقط.

في سامراء أخلى لنا بيت صغير، واتخذ منه معتقلاً وضع على حراسته عدد من أفراد الشرطة. كنا عشرة أشخاص بعد أن انضم إلينا رفيقنا المجروح اثر قضائه حكماً بالحبس لمدة شهر.

بقينا في سامراء حوالي عام ونصف أيضا، ولم نتخل هناك كالسابق عن مساعينا لتوضيح قضيتنا، وسعينا بكل الوسائل لإرغام الحكومة العراقية على توضيح مشكلتنا. بدأنا ذات مرة إضرابا عن الطعام، وطالبنا بإطلاق سراحنا لكوننا لاجئين سياسيين أو السماح لنا بمغادرة العراق. صادف

إضرابنا عن الطعام محاولة اغتيال الشاه في 15 بهمن 1327، ولم نر أن الوقت مناسب للاستمرار في الإضراب، واقتنعنا برأي المسؤول عن المعتقل بهذا الشأن. ونتيجة التعهدات التي قدمت لنا، انهينا الإضراب بعد مضي ثلاثة أيام، ولم يجر تنفيذ أي تعهد لنا على أرض الواقع. فقط تقرر إطلاق سراح رفيقنا علي اصغري لكونه كان قد حكم عليه من قبل المحكمة، وأنهى فترة حكمه، لكن آمر المعتقل عارض ذلك، وأوضح في تقرير له أننا جميعاً نشترك في وضع متشابه، ويجب إطلاق سراح الجميع أو إبقاء الجميع في السجن.

عدا البارزانيين الذين كانوا عراقيين، كان جميع الإيرانيين الذين دخلوا معنا العراق قد تحرروا من السجن، وتم تعيين محلات إقامة لهم، كما خصصت لهم لنفقاتهم مخصصات شهرية. لم يكن قد بقي في السجن غيرنا نحن الضباط العشرة، وضعنا أيضا لم يكن موحداً. كنا ستة ضباط رسميين في الجيش الإيراني، أما الأربعة الآخرون فكانوا من ضباط آذربيجان. كان هؤلاء يعتقدون أن لا خطر عليهم حتى في حالة تسليمهم إلى الدولة الإيرانية، لان بإمكانهم الاستفادة من قانون العفو العام حول أحداث آذربيجان. بناءاً على ذلك فرقوا قضيتهم عن قضيتنا، وطلبوا، بإصرار، إعادتهم إلى إيران. نحن أيضا لم نخالف ما استقر عليه رأيهم. في الأخير نقل هؤلاء الأربعة إلى بغداد بصورة منفصلة عنا، وانتقلنا نحن الآخرين إلى دار اكثر سعة وراحة. بعد مدة عدنا إلى الإضراب عن الطعام مرة ثانية، وطلبنا حرية اكثر لنا في التعامل معنا. وقد وافقوا على ذلك، وسمح لثلاثة منا بالتجوال في المدينة برفقة عريف شرطة كل يوم. وسامراء مدينة لا تضم غير الأضرحة المقدسة، والآثار التاريخية، ومنها خرائب قصر الخليفة العباسي المعتصم بالله.

خلال مدة عام ونصف قضيناها في سامراء. التقى خلالها، ولعدة مرات، حكام الدولتين العراقية والإيرانية لحياكة خطوط حلف بغداد في الخفاء. ولأجل البحث في عقد الحلف نفسه، قام عبدالاله ولي العهد في العراق بزيارة إلى طهران أواخر عام 1328، أثناء هذه الزيارة وافق العراق على تسليمنا للدولة الإيرانية مقابل تسليم إيران لثلاثة من الضباط العراقيين البارزانيين الذين التجئوا إليها، ويظهر ولاعتبارات النزاكة السياسية، إن إيران كانت قد وافقت على عدم إعدامنا. نتيجة هذه الاتفاق ابلغنا بالاستعداد للعودة إلى إيران، وقد اعترضنا بشدة وأردنا المقاومة. لكن رئيس شرطة سامراء الذي كنا قد تصادقنا معه قال لنا:

-إن المقاومة لا تفيد..

أخيرا ومن اجل إيجاد حل لهذه المشكلة تباحثنا مع قائمقام سامراء. ومن جانب آخر تطوع صاحب الدار التي كنا معتقلين فيها ببذل جهوده في هذا الصدد، فقد كان رئيساً لإحدى العشائر العربية في سامراء، وكان يكن لنا وداً ومحبة خالصة وسبق له أن استضافنا في بيته عدة مرات، وتعرفنا بواسطته على عدد من المراجع الدينية في سامراء واستمعنا إلى وعظهم وإرشاداتهم في مجالسهم الدينية.

لقد اعد صديقنا البيت وعدد المراجع الدينية السنية في سامراء، عريضة إلى الحكومة يعبرون فيها عن استعدادهم لإعطاء أي ضمان إلى الدولة العراقية مقابل إطلاق سراحنا وعدم تسليمنا للدولة الإيرانية، والشيء الوحيد الذي قام به قائمقام سامراء هو إرسال هذه الطلبات إلى وزير الداخلية في الحكومة العراقية، ولكن القرار كان قطعياً.

في أوائل فروردين من عام 1329، انتقل بنا من سامراء إلى مركز تعليم الشرطة في بغداد. وهناك التقينا برفاقنا الأربعة الآخرين، لم يكن تسليمهم لإيران قد جرى بعد. وأصبحنا عشرة أشخاص من جديد.

ابلغنا رفاقنا قرارنا بالمقاومة ضد تسليمنا إلى إيران، فوافقوا على اتخاذ نفس الموقف أيضا، واتحدنا في الموقف والرأي، ورد إلى المركز مدير شرطة بغداد للالتقاء بنا،ـ وأوضح أن الدولة اتخذت قرارها، ولا يمكن عمل شيء، وطلب منا الرضوخ للأمر، إلا أن جوابنا كان سلبياً.

في صباح اليوم التالي، التقى بنا مدير الشرطة العام وكرر نفس الأقوال السابقة للمسؤولين العراقيين، واخبرنا أن نطمئن لان الدولة الإيرانية وعدت الحكومة العراقية بعدم الإقدام على إعدامنا. وكرر باللغة التركية الاستانبولية:

-اسمك يوكدور (ماكو مشنقة) وطلب منا أن لا نقاوم عند الإقدام على تسليمنا. إلا أننا رفضنا طلبه أيضا واتهمنا الحكومة العراقية بعدم رعاية تعهدها، ومخالفتها للقوانين الدولية ونقض المواثيق.

صادف اليوم التالي عطلة الجمعة، وكانت كلية الشرطة تتمتع بالعطلة، في البداية جرى تفرقنا عن البعض خداعاً وبحجة التباحث معنا على انفراد. ثم جاء دور معاملة من نوع آخر. لقد تم ضرب كل واحد منا ضرباً مبرحاً، ووضعت القيود في أيدينا وأرجلنا.

وبهذه الصورة أخذنا إلى سيارتي (بيكاب) سلكتا طريق خانقين كنا ننزف الدم جميعاً. وكانت شفتاي متورمتان ومجروحتان تنزف دماً، فحين اعتقالي أردت تحذير رفاقي بالصراخ لكن الشرطة وضعوا قيداً على فمي لخنق صراخي وضغطوا عليه بقوة وعنف.

لا أنسى أن أقول أن المأمورين من أصحاب الغيرة، نهبوا كل ما نملك من أموال وساعات وأقلام عندما انقلونا إلى السيارات. لقد لاحظنا أنفسنا داخل السيارات ملوثين بالدم من قمة الرأس وحتى أخمص القدمين.

كنا قد انتبهنا في البداية انهم سيأخذوننا بأية صورة، لذلك أعدنا مسبقاً حوالي (300) منشور خطي مستنسخ باليد نخاطب فيها شعب العراق، ونشكوه من المعاملة القاسية لحكومته ونكثها تعهداتها.

مع إننا كنا مقيدي الأيدي والأرجل، إلا انه تمكنا من أن نخرج هذه المشورات من جيوب بعضنا البعض، وان نلقي بها في شوارع بغداد وخانقين.

على كل حال، أوصلونا إلى بلدة خانقين وأودعونا في موقف مركز الشرطة، وبعد حوالي ساعة من وصولنا جاء قنصل إيران عصام زادة، برفقة قائمقام خانقين للالتقاء بنا. وقد رحب بمقدمنا بحرارة وقال انه يفتخر بنا كإيرانيين. ووصف حالتنا بما يشبه الأسود داخل القفص، واظهر تأسفه وتأثره لابتعادنا عن الوطن. وتحدث بأقوال أخرى مفادها أن الحياة والموت في الوطن افضل بأي حال عن العيش في الغربة. وقد طمأننا وأوضح أن السلطات لن تقوم بإعدامنا حسب تعهداتها، وطلب منا أن لا نشعر باليأس وبين، أننا سنقضي فترة في السجن ثم نتحرر. وفي الأخير تمنى أن نغسل وننظف شعرنا ووجهنا ونصلح من ثيابنا لكي يليق مظهرنا بالدخول إلى أرض الوطن.

في صباح اليوم التالي والذي صادف الأيام الأوائل من أعياد نوروز لعام 1329، دخلنا حدود خسروي وجرى استلامنا من قبل وحدة مراقبة حدود عسكرية.

بهذه الصورة عدنا إلى إيران مجدداً بعد ثلاثة أعوام وثلاثة أيام قضيناها في سجون العراق.

قصة التحقيق والاستجواب والمحاكمة، حوادث شهدها، قليلاً أو كثيراً، تقريباً اغلب أبناء وطننا بفارق أننا لم ننل نصيبنا من وسائل التعذيب التي راجت حينذاك في إيران. لم يكن هناك ما يستدعي أن نخفيه ام ما يحتاج إلى نزع الاعتراف بالقوة.

لقد انتفضنا برجولة ورفعنا السلاح، وحتى الإمكان قاتلنا رجال الحكومة وجهاً لوجه.

وصدرت الأحكام: أنا بالإعدام، وأربعة من رفاقنا: مرتضى زربخت، اصغر احساني، محمود تيواوي، جواد ارتشيار بالسجن المؤبد. وعلي نقي دانا بالسجن عشر سنوات.

استفدنا جميعاً من درجة تخفيف واحدة. الأربعة الأولون اصبح حكمهم جميعاً اثنتي عشرة سنة، ورئيس دانا خفف حكمه إلى ستة سنوات، وقد قضى الجميع أحكامهم بالتمام والكمال ثم تحرروا.

أنا اصبح حكمي بعد التخفيف السجن المؤبد.

في فروردين من 1342 وبعد ستة عشر عاماً وعدة اشهر تحررت من السجن.

من كل ذلك، بقي لي فقط هذه الذكريات وجسم نصف عليل وأمل بالمستقبل، وبنت واحدة وحيدة. حيث كان أحد أطفالي قد توفي في أوائل الهجرة إلى الاتحاد السوفييتي، أما والدتهم، وبعد ستة عشر عاماً من الانتظار بالضبط قبل ستة اشهر من إطلاق سراحي، فقد عاماً من الانتظار توفيت لابتلائها بداء السرطان الرئة، طابت ذكراها.

حينما تحررت من السجن سعيت حثيثاً أن أعيد ابنتي إلى إيران، ولم أوافق. كانت عندما هاجرت إيران طفلة ذات سنتين من العمر واضطرت دون إرادتها أن تهاجر في حضن والدتها، لم تكن لديها أي نشاط سياسي سابق. لكنها مع ذلك رفضت العودة.

وأخيراً، وبعد خمسة وعشرين عاماً من الفراق، التقيت بها في برلين الشرقية عام 1350. كانت طفلة لا تملك غير عامين من العمر حين تركتها، وارى الآن أمامي امرأة ذات 27 عاماً من العمر، امرأة رأيتها قد كبرت خمس سنوات. حين تركت والدتها كانت ذات 22 عاماً.

لقد حرمت، طوال حياتها من، العطف الأبوي وتود الآن مثل أية طفلة أن تنال من محبة الأب وإغداق الحب عليها. إنها تأبى أن تنام، وتبقى بجانبي حتى منتصف الليل، وتطلب مني أن أقص لها الحكايات وتقول:

-يجب أن تحكي لي قصصاً بقدر هذه ال(25) سنة!.

أية قصة املكها افضل من سرد هذه الذكريات.

بعد أن أنهيت من حكايتي سألت:

-(بابا الست نادماً ؟ المسكينة ماما كانت تتحدث عنك كثيراً وتقول دائماً: وأسفاه...)

الجواب الذي أعطيتها ادرجه هنا في خاتمة كلامي.

حياة الإنسان، مثل وعاء يحوي وزناً خاصاً من مقياس القدر. كثيرون عاشوا حياة هادئة، وعلى اكثر حد، تركوا عدداً من الوارثين. وآخرون لا شيء، ولكن لنعظم أولئك الأبطال الذين ملئوا حياتهم بوعاء نفيس المحتوى، وصنعوا لامتنا تأريخاً حافلاً بالواقع...

وتم بعون الله

E-Pirtûk www.kurdme.com
www.all-kurd.com
www.kurdefrin.com